رد شبهات المستشرقين
حول نفخ الروح

إعــداد

ساری زين الدين مهدى سيف الدين

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله ، نَحْمَدُه ونستعينُه ونستغفرُهُ ، ونستهديه ونسترضيه ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا ، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا ، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ ، ومن يُضْلِلْ فَلا هَادِي لَهُ .

وأشهد أن لا إله إلا الله حده لا شريك له ، خلق السماوات والأرض بلا معين ولا مشير ، وخلق البشر بلا شبيه ولا نظير ، فمضت فيهم بقدرته مشيئته ونفذت فيهم بعزته إرادته ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ (١) .

وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ بعثه الله على حين فترة من الرسل ، فأكمل به الإيمان ، وقمع به أهل الأوثان ، وأظهره على كل الأديان ، اللهم صلي عليه ، ما دار في السماء فلك ، وما سبح في الملكوت ملك .

وبعد ....،

فيحاول أعداء الإسلام على مر العصور بشتى السبل والأساليب والوسائل النيل من الإسلام وصد الناس عنه ، بإثارة الشبه والمطاعن ، متوهمين أنها تشكل نقاط ضعف في الإسلام .

لكن الباحث الجاد المحايد والمنصف سرعان ما يكتشف بسهولة أن المطاعن التى يتوهمونها ما هى إلا جوانب مشرقة وإيجابيات تحسب للإسلام لا عليه وتثبت أنه الدين الحق الذى بعث الله به النبى الخاتم ﷺ .

ومن تلك المطاعن التى يثيرها الحاقدون ، الزعم بأن الإسلام أخطأ عندما قال إن الروح تنفخ في الجنين بعد مائة وعشرين يوماً وأن المراحل الثلاثة الأول من مراحل خلق الإنسان في بطن أمه تتم في ثلاثة أربعينات كما أشار الحديث (٢) .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

(٢) سيأتي نص الحديث والكلام عليه إن شاء الله .

ولا شك أن ما ذكره الإسلام يتعارض اليوم مع الحقائق العلمية المعتمدة في علم الأجنة الحديث ويخالف ما أصبح علماً يقينياً وهو أن الروح تنفخ في الجنين بعد أربعين يوماً ،ويتم خلقه أيضاً في هذه المدة .

من هؤلاء الطبيب المشهور الجراح موريس بوكاي [١] حيث يقول : وصف تطور الجنين في هذا الحديث [٢] لا يتفق مع المعلومات العلمية الحديثة[٣]

مما جعل بعض المحاربين للإسلام يتوهمون أن هذا يعد خنجراً بأيديهم يمكن أن يطعنوا به الإسلام .

ولأهمية هذا الموضوع ، ولاختلاف العلماء في الوقت الذي يتم فيه نفخ الروح في الجنين ، ولما قد يترتب على ذلك من تحريم الإجهاض أو كراهته أو إباحته ، أحببت أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع – الطبيّ الدينيّ – الخطير وأسأل الله تعالى الهداية والرشاد والتوفيق السداد .

ولقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث

المبحث الأول : تاريخ علم الأجنة

المبحث الثاني : أطوار خلق الجنين في بطن الأم

المبحث الثالث : زمان نفخ الروح بين الدين والطب

الخاتمة : وتشتمل على أهم التوصيات .

---

(١) ولد من أبوين فرنسيين ، وترعرع كما ترعرع أهله في الديانة النصرانية ، ولما أنهى تعليمه الثانوي انخرط طالبا في كلية الطب في جامعة فرنسا فكان من الأوائل حتى نال شهادة الطب ، وارتقى به الحال حتى أصبح أشهر وأمهر جراح عرفته فرنسا الحديثة . من كتبه القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ودراسة الكتب المقدسة .

(٢) يقصد حديث البخاري والذي سنذكره إن شاء الله

(٣) أرشيف المجلس العلمي – من موقع الألوكة www.majles.alukah.net

الدراسات السابقة

إن الكلام عن أطوار خلق الجنين في بطن أمه ونفخ الروح فيه ، تحدث به العلماء بعيد نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ .

وهذه الأطوار هي طور النطفة وطور العلقة وطور العلقة ، وهي الأطوار الرئيسية التي تحدث عنها القرآن الكريم في كثير من آياته ، وكذلك تحدث عنها رسول الله ﷺ في كثير من أحاديثه الصحيحة الصريحة المتواترة .

والأحاديث الصريحة تفيد أن نفخ الروح يأتي بعد اكتمال هذه الأطوار ، هذه الأطوار يتم اكتمال خلقها عند جميع العلماء القدامى بعد مائة وعشرين ، وبالتالي فإن نفخ الروح يكون بعد مائة وعشرين يوماً ، وهذا هو المشهور على ألسنة الخلق إلى يومنا هذا ، وبه الفتوى في المجامع الفقهية .

لكن بعض الباحثين في مجال الطب قالوا بأن الأطوار السابقة يتم خلقها بعد أربعين .

الجديد في هذا البحث

١ – تأكيد أن الأطوار الثلاثة الرئيسية لخلق الإنسان في بطن أمه يتم خلقها بعد أربعين يوماً .

٢ – أن نفخ الروح في الجنين إنما يكون بعد أربعين يوماً ، وليس بعد مائة وعشرين يوماً ، وذلك من خلال الأحاديث التي تصرح بذلك ، وأن أحداً لم يسبقني بهذا الاستنتاج الواضح (فيما قرأت) كما لم يفرد لهذة المسألة بحثاً معيناً .

٣ – التوفيق بين الدين والطب في هذه المسألة كما سيأتي إن شاء الله تعالى

المبحث الأول
تاريخ علم الأجنة

لقد اهتم ديننا الإسلامي الحنيف بالجنين في جميع مراحل تكوينه ، وهو أحد آيات الله الكثيرة المبثوثة في هذا الكون الفسيح ، وكما اهتمت الشريعة بحياة الجنين وحرصت عليها فإنها حذرت من الاعتداء المادي أو المعنوي عليها ، ومن أعظم الأدلة على عناية الإسلام بالجنين : أن الأحاديث الشريفة الصحيحة بيّنت أن الله تعالى وكّل ملكاً يراقب مراحل تطور الجنين ، من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى كتابة ما ستكون عليه حياته وذلك على نحو ما روي عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكا يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فإذا أراد أن يقضي خلقه قال أذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الرزق والأجل فيكتب في بطن أمه [١]

وقبل الكلام عن تاريخ علم الأجنة يطيب لي أن أتحدث – في توطئة موجزة –عن تعريف الروح والحياة والنفس والفرق بين الروح والحياة والنفس.

تعريف الروح :

الروح هي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني[٢] نازل من عالم الأمر تعجز العقول عن إدراك كنهه وتلك الروح قد تكون مجردة وقد تكون منطبقة في البدن [٣]

تعريف الحياة :

الحياة عبارة عن الإحساس والقدرة [٤]

---

(١) أخرجه البخاري ك الحيض ب قول الله عز وجل مخلقة وغير مخلقة ٢ / ٢٨ ح ٣٠٧

(٢) يقصد بها النفس وسيأتي تعريفها .

(٣) التعريفات – علي بن محمد بن علي الجرجاني – تحقيق إبراهيم الأبياري ص ١٥٠ دار الكتاب العربي بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(٤) محك النظر – أبو حامد الغزالي ص ٤٦

قلت : الحياة هي سريان الحس والحركة في الكائن الحي البعيدة عن التفكير واتخاذ القرار .

تعريف النفس :

النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم الروح الحيوانية فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه فثبت أن النوم والموت من جنس واحد لأن الموت هو الانقطاع الكلي والنوم هو الانقطاع الناقص فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن(١)

الفرق بين الروح النفس والحياة

قد توجد الحياة ولا توجد الروح ، فالحياة مثلاً موجودة في الجنين منذ اللحظة الأولى ، بل هي موجودة في الحيوان المنوي وفي البويضة قبل التلقيح.

إذاً فالروح شيء والحياة البيولوجية شيء آخر ومن الممكن أن يحيط علماء الطب بخواص الحياة البيولوجية ويرون آثارها تحت المجهر أو بالعين المجردة .

أما الروح فهي فوق علم البشر، إذ خص الله نفسه بمعرفة كنهها إذ يقول تبارك وتعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٢).

والحياة هي ما تصير به الجملة كالشئ الواحد في جواز تعلق الصفات بها والروح ما بها الحياة ومن قرائنها ، والحياة عرض والروح جسم رقيق من جنس الريح ، وقيل هو جسم رقيق حساس ، ويزعم الاطباء أن موضعها في الصدر من الحجاب والقلب ، وذهب بعضهم إلى أنها مبسوطة في جميع البدن(٣).

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢١٣ .

(٢) مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة – تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة ٥ / ٤٣١ والآية ٨٥ من سورة الإسراء .

(٣) الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري ص٢٦١

والنفس هي التي تشعر وتحس وهي التي يتوفاها الله تعالى عند الموت .

فما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء ، وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس ، فإن أذن الله في قبض الروح أجابت النفس ، وإن أذن الله في رد النفس أجابت الروح .

فالتي تتوفى عند الموت هي نفس الحياة التي إذا زالت زالت معها النفس والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي بها العقل والتمييز ، وهي التي تفارق النائم فلا يعقل .

والفرق بين قبض النوم وقبض الموت ، أن قبض النوم يضاد اليقظة وقبض الموت يضاد الحياة .

والحياة والنفس يموتان أو يضيعان بموت البدن وفنائه ، أما الروح لا تموت ولا تضيع ولا تفنى بموت البدن وفنائه.

وبعد هذه التقدمة البسيطة نتكلم عن تاريخ علم الأجنة

لقد شهد هذا العصر الذي نعيشه نهضة علمية في شتى المجالات ، ومن ضمن تلك المجالات ما يتعلق بعلم الأجنة ومراحل تخلق الإنسان ، هذا العلم الذي كانت معلوماته محل تخمينات عقلية وتصورات ذهنية، حتى ارتقى العلم في القرن الماضي إلى مرحلة الوصف الدقيق القائم على استخدام الأجهزة الحديثة ، وأود أن أعرف بعلم الأجنة في ثنايا الكلام

تعريف علم الأجنة Embryology

علم الأجنة يعنى بدراسة طريقة تشكل الحيوان والنبات خلال المراحل الأولى ويختص علم الأجنة لدى الإنسان وكثير من الحيوانات الأخرى بعملية تكوين

الأمشاج (تكوين الخلايا الجنسية) والإخصاب (اتحاد الخلايا الجنسية الذكرية مع الأنثوية) وتشكُّل الجنين (الشكل المبكر للحياة) [١].

إن تاريخ علم الأجنة يرتبط ارتباطاً أساسياً بتاريخ العلوم عامة ، وبقدر ما يعالج علم الأجنة أصل كل أشكال الحياة الراقية ، بقدر ما يتصل بالتطور التاريخي للتفكير الفلسفي ، ولقد كان العالم يشير إلى نفسه منذ عهد غير بعيد كما كان الآخرون يشيرون إليه بـ (فيلسوف الطبيعة) [٢].

ويمكننا أن نقسم تاريخ علم الأجنة إلى ثلاث مراحل أساسية :

١- المرحلة الوصفية

والتي يمكن أن نسميها (علم الأجنة الوصفي) وتعود إلى أكثر من ستة قرون قبل الميلاد ، وتستمر حتى القرن التاسع عشر ، وتم خلال هذه الفترة وصف الملاحظات الخاصة بظاهرة تطور الجنين (وتفسيرها بأساليب مختلفة) ووجدت بعض السجلات المدونة من فترة السلالات الفرعونية الرابعة والخامسة والسادسة في مصر القديمة ، وقد حمل مالا يقل عن عشرة أشخاص متعاقبين اللقب الرسمي (فاتح مشيمة الملك) واقتضت المراسيم فيما بعد أن تحمل راية تمثل (مشيمة الملك) أمام موكب الفراعنة ، وكانت تعزي إلى خواص المشيمة قوى سحرية خفية ، ودام ذلك الاعتقاد حتى عهد اليونانيين القدماء وبعدهم ، وارتبط السحر بالعلم .

وأقدم الوصفات المدونة للوقاية من الحمل ، مدونة بالخط الهيري (لغة مصر القديمة قبل الهيروغليفية) على ورق البردى (ويعود تاريخها إلى ٢٠٠٠ و

---

(١) الموسوعة العربية العالمية – عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International ٢ / ٢

(٢) علم الأجنة في القرآن والسنة – المجلس الأعلى للمساجد – هيئة الإعجاز العلمي – مكة المكرمة ص ١٣

١٨٠٠ سنة قبل الميلاد) ومن العناصر الأساسية المكونة للوصفة روث التماسيح إلى جانب عناصر أخرى [١].

أما اليونان القدماء فهم أول من ربط العلم بالمنطق بفضل تعليلاتهم المنطقية ولم تُسجَّل منذ عام ٢٠٠ بعد الميلاد حتى القرن السادس عشر أية معلومات تذكر عن علم الأجنة .

ومما كان سائداً آنذاك ، المفهوم الخاطئ الذي قال به أرسطو طاليس من أن الجنين يتولد من دم الحيض ، وانتقل هذا على مر القرون ، وكان علماء المسلمين يرفضون فكرة أن الجنين يتولد من دم الحيض ، مستندين إلى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ [٢] وإلى الأحاديث النبوية التي سنورد بعضها في بحثنا هذا إن شاء الله

وفي القرن السادس عشر وما بعده مهّدت أبحاث "فيساليوس" و"فابريسيوس" و"هارفي" لبدء عصر الفحص المجهري ، وتم اكتشاف الحيوان المنوي من طرق العالمين "هام" و"فان لوفينهوك" عام ١٧٠١م ، إلا أن اختراع المجهر لم يكن كافياً لبيان تفاصيل تكوين الحيوان المنوي حيث اعتقد العلماء بأن الإنسان يكون مخلوقاً خلقاً تاماً في الحيوان المنوي في صورة قزم، وبينما كان فريق من العلماء يرى أن الإنسان يُخلَقُ خلْقاً تاماً في بويضة المرأة ، ولم ينته الجدل بين الفريقين إلا حوالي عام ١٧٧٥م عندما أثبت "سبالانزاني" أهمية كل من الحيوان المنوي والبويضة في عملية التخلق البشري [٣].

---

(١) علم الأجنة في القرآن والسنة – المجلس الأعلى للمساجد – هيئة الإعجاز العلمي – مكة المكرمة ص ١٣

(٢) سورة القيامة آية ٣٧

(٣) موسوعة البحوث والمقالات العلمية – جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود – بحث مراحل الجنين

٢- مرحلة علم الأجنة التجريبي:

لم تكتشف بييضة الثدييات إلا في أواخر القرن التاسع عشر ، وبدأت المرحلة التاريخية الثانية – عهد علم الأجنة التجريبي – بكتابات (فون باير) و (داروين) و(هيكل) (اعتباراً من نهاية القرن التاسع عشر حتى الأربعينات من القرن العشرين) .

وكان (فون باير) عملاقاً في عصره في هذا المجال ، فقد قفز بعلم الأجنة من التجارب والمشاهدات إلى صياغة المفاهيم الجنينية لا العكس ، وكانت تلك ومضة ذكاء دقيقة جداً ، وقد انتقل به تفكيره هذا إلى أبعد من المفاهيم التي تعلمها .

كما تميزت المرحلة التاريخية الثانية بالبحث عن (الآليات) وبرز اسم (ويلهيلهم روكس) في هذا المجال ، وانتقلت الدراسة الجنينية من وصف الملاحظات إلى التدخل ومعالجة الكائنات الحية المتطورة .

وقد شغلت مسألة معرفة الآلية التي يحدث فيها التمايز بين الخلايا اهتمام الباحثين أمثال (ويلسون) و(نيودور) و(بوفيري) وقد طور (روس هاريسون) تقنية زرع الحبل السري ، وبدأ (أوتو واربورغ) دراسات عن الآليات الكيميائية للتخلق ودرس (فرانك راتري ليلى) طريقة إخصاب الحيوان المنوي للبويضة كما درس (هانس سبيمان) آليات التفاعل النسيجي كالذي يحدث خلال التطور الجنيني ودرس (يوهانس هولتفرتر) العمليات الحيوية التي تظهر بعض الترابط بين خلايا الأنسجة فيما بينها أو فيما بينها وبين خلايا الأنسجة الأخرى [١].

٣- مرحلة التقنية واستخدام الأجهزة:

وتمتد هذه المرحلة من الأربعينيات فى القرن العشرين إلى يومنا هذا ، وقد تأثرت تأثراً بالغاً بتطور الأجهزة الطبية مما كان له التأثير القوي على مسار البحوث العلمية.

---

(١) علم الأجنة في القرآن والسنة – المجلس الأعلى للمساجد – هيئة الإعجاز العلمي – مكة المكرمة ص ٢٢

فلقد كان اكتشاف المجهر الإلكتروني وآلات التصوير المتطورة وأجهزة قياس الشدة النسبية لأجزاء الطيف ، وكذا ظهور الحاسوب ومجموعة الكشف عن البروتينات والأحماض النووية ، كل هذه كانت عوامل سمحت للعلماء بإجراء تجارب كانت تبدو قبل سنوات فقط من الأحلام الخيالية حيث تم التوصل إلى فهم ووصف دقيق لمراحل التخلق الجنيني بفضل كل هذه الأجهزة الحديثة (١).

ومن هنا حق العلماء الأجنة – فى وقتنا المعاصر – أن يقولوا [يمكننا] اليوم أن نجري تحليلاً دقيقاً مفصلاً لسطح الخلايا خلال تمايزها

ويمكننا أيضاً أن ندرس دور النواة والخلية ، والمنابت خارج الخلية باستخدام تهجين الخلايا وغرس النواة وغرس الجينات في الرحم وغير ذلك من التقنيات ويمكننا أن ننظر الآن إلى الأجنة بوضوح (٢).

(١) موسوعة البحوث والمقالات العلمية – جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود – بحث مراحل الجنين

(٢) نظرة تاريخية في علم الأجنة – ج س جورنجر – عبدالمجيد الزنداني – مصطفى أحمد ص ٧

المبحث الثاني
أطوار خلق الجنين في بطن أمه

لقد وصف الإسلام من خلال القرآن والسنة في القرن السابع الهجري مراحل خلق الإنسان في بطن أمه بأسلوب رفيع رائع قبل المكتشفات التي اكتشفها العلم الحديث بأجهزته وأساليبه الحديثة .

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١).

لقد قسمت هذه الآية الكريمة مراحل تطور الجنين الإنساني في بطن أمه إلى مراحل أساسية ، وفصلت بين بعض منها بحرف العطف (ثم) الذي يفيد الترتيب مع التراخي .

١ – طور النطفة:

تطلق النطفة على الماء القليل ولو قطرة

جاء في لسان العرب : النطفة الماء القليل ، وبه سمي المنيُّ نُطفة لقلته وتطلق على الماء الكثير ولكنها بالقليل أخص (٢).

وقالَ الأَزْهَرِيُّ : والعَرَبُ تقولُ للمُوَيْهَةِ القَلِيلَة : نُطْفَةٌ ، وللماءِ الكَثِيرِ : نُطْفَةٌ وهو بالقَلِيلِ أَخَصُّ (٣).

والنُّطْفَةُ بالضم : الماءُ الصافي قَلَّ أو كثُرَ (٤).

والنطفة في الأصل هي قطرة الماء العَذْب ، كما جاء في قول الشاعر :

بَقَايَا نِطَافٍ أودَعَ الغيمُ صَفْوَهَا . . . مُثَقَّلَةُ الأَرجَاء زُرْقُ الجَوانبِ

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١٢ – ١٤ .

(٢) انظر لسان العرب – ابن منظور ٩ / ٣٣٤ .

(٣) تاج العروس – الزبيدي ٢٤ / ٤١٩ .

(٤) القاموس المحيط – الفيروزآبادي ص ١١٠٧

ولا تظهر زُرْقة الماء إلا إذا كان صافياً لا يشوبه شيء ، وكذلك النطفة هي خلاصة الخلاصة ، لأن جسم الإنسان تحدث فيه عملية الاحتراق ، وعملية الأيض أي : الهدم والبناء بصفة مستمرة ينتج عنها خروج الفضلات المختلفة من الجسم : فالبول ، والغائط ، والعرق ، والدموع ، وصَمْغ الأذن ، كلها فضلات ناتجة عن احتراق الطعام بداخل الجسم حيث يمتص الجسم خلاصة الغذاء ، وينقلها إلى الدم ومن هذه الخلاصة يُستخلص منيُّ الإنسان الذي تؤخذ منه النطفة ، فهو – إذن – خلاصة الخلاصة في الإنسان ، ومنه يحدث الحمل ، ويتكَّون الجنين وكأن الخالق – عز وجل – قد صَفَّاها هذه التصفية ونقَّاها كل هذا النقاء ؛ لأنها ستكون أصْلاً لأكرم مخلوقاته ، وهو الإنسان [1].

وقالَ أَبو ذُؤَيْبٍ الهذلي يَصِفُ عَسَلاً :

فشَرَّجَها من نُطْفَةٍ رَجَبِيَّةٍ سُلاسلَةٍ مِنْ ماءِ لِصْبٍ سُلاسِلِ

أي : خَلَطَها ومَزَجَها بماءِ سَماءٍ أَصابَهُم في رَجَب .

وشَرِبَ أَعرابِيٌّ شَرْبَةً من رَكِيَّةٍ يُقالُ لها : شَفِيَّة ، فقالَ : واللهِ إنَّها نُطْفَةٌ بارِدَةٌ عَذْبَةٌ [2].

وفي الحديث (وقد اغتسل ينطف رأسه ماء) [3].

وقد أطلقها الشارع على مني الرجل و مني المرأة قال تعالى ﴿**وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ۞ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ**﴾ [1].

---

(١) تفسير الشعراوي ص ٥٩٧٥

(٢) العباب الزاخر واللباب الفاخر – الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني المتوفّى ٦٥٠ هـ ص ٢ / ٢٤

(٣) رواه مسلم ك المساجد ب متى يقوم الناس للصلاة ٢ / ١٠١ ح ١٣٧٩ ونص الحديث عن أبي هريرة قال أقيمت الصلاة فقمنا فعدلنا الصفوف قبل أن يخرج إلينا رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ حتى إذا قام فى مصلاه قبل أن يكبر ذكر فانصرف وقال لنا " مكانكم " فلم نزل قياما ننتظره حتى خرج إلينا وقد اغتسل ينطف رأسه ماء فكبر فصلى بنا .

وفي الحديث : (من كل يخلق من نطفة الرجل ونطفة المرأة) [٢].

والحق أن النطفة كما يعبر بها عن مني الرجل يعبر بها عن ماء المراة .

فالنطفة : اسم لماء الرجل والمراة معاً وليس كما هو مشهور أنها علم على ماء الرجل ، ويدل على ذلك حديث عبد الله بن مسعود قال: مر يهودي بالنبي ﷺ وهو يحدث أصحابه قال: فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي قال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي قال: فجاء حتى جلس ثم قال : يا محمد مم يخلق الإنسان قال: يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقام اليهودي فقال: هكذا كان يقول من قبلك [٣].

وفي الحديث أيضاً عن ابن عباس : نطفة الرجل بيضاء غليظة و نطفة المرأة صفراء رقيقة فأيهما غلبت صاحبتها فالشبه له (و إن اجتمعا جميعا كان منها ومنه) [٤].

فالنبي ﷺ أطلق هنا في الحديث النطفة على ماء الرجل وماء المراة

قال الألوسي : والحق أن النطفة كما يعبر بها عن مني الرجل يعبر بها عن المني مطلقا ، والظاهر أن المراد النطفة التي يخلق منها كل واحد بلا واسطة [٥].

قال ابن كثير : ثم صَيَّرنا النطفة ، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل – وهو ظهره – وترائب المرأة – وهي عظام صدرها [٦].

---

(١) سورة النجم الآية ٤٥ ،٤٦

(٢) أخرجه أحمد ١ / ٤٦٥ وسيأتي نصه والحكم عليه

(٣) أخرجه أحمد ١ / ٤٦٥ والطبراني والبزار بإسنادين وفي أحد إسناديه عامر بن مدرك وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات

(٤) قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٧٦٧ في صحيح الجامع وما بين قوسين ضعيف عند الألباني انظر ضعيف الجامع رقم : ٥٩٥٨

(٥) انظر روح المعاني للآلوسي ٩ / ١١٢ .

(٦) تفسير ابن كثير ٥ / ٤٦٦ .

ويبدأ مصطلح النطفة بالماء الدافق وينتهي بالحرث

الماء الدافق

قال تعالى ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (١).

ومما يلفت النظر هنا في هذه الآية أن الله تعالى أسند التدفق للماء نفسه ، مما يشير أن للماء قوة دفق ذاتية .

قال الزجاج : من ماء ذي اندفاق يقال : دارع وفارس ونابل ، أي ذو فرس ودرع ، ونبل ، وهذا مذهب سيبويه ، فالدافق هو المندفق بشدة قوته(٢).

وجاء في تفسير الجلالين : خُلِقَ مِنْ مَاء دَافِق أَيْ ذِي اِنْدِفَاق مِنْ الرَّجُل وَالْمَرْأَة فِي رَحِمهَا (٣).

وقد أثبت العلم في العصر الحديث أن المنويات التي يحتويها ماء الرجل لا بد أن تكون حيوية متدفقة متحركة وهذا شرط للإخصاب (٤).

وقد أثبت العلم أيضاً أن ماء المرأة الذي يحمل البويضة يخرج متدفقاً إلى الرحم (قناة قالوب) وأن البويضة لابد أن تكون حيوية متدفقة متحركة حتى تتم عملية الإخصاب .

ومن المعلوم أن ماء الرجل يحوي بالإضافة إلى المنويات عناصر أخرى تشارك وتساعد في عملية الإخصاب مثل مادة البرستاجلاندين ، التي تحدث تقلصات في الرحم مما يساعد في نقل المنويات إلى موقع الإخصاب .

---

(١) سورة الطارق آية ٥ – ٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) تحقيق : سمير البخاري ٢٠ / ٤ دار عالم الكتب – الرياض – المملكة العربية السعودية ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م

(٣) تفسير الجلالين : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى : ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ) ١٢/ ٤٤٨

(٤) التناسل البشري – مبادئ الطب التناسلي – بيج وفيللي ص ١٠ الطبعة الثالثة

كما أن ماء المرأة يحوي بالإضافة إلى البييضة عناصر أخرى تساعد وتشارك في عملية الإخصاب .

ومنها بعض الأنزيمات التي تفرزها بطانة الرحم وقناته ، التي تجعل المنوي قادراً على الإخصاب وذلك بإزالة البروتين السكري من رأسه ، وتعمل هذه الأنزيمات بالإضافة إلى ذلك على إطلاق الخلايا المحيطة بالبييضة وكشف غشائها الواقي أمام المنوي (١).

لقد جرت سنَّة الله أن يتم تناسل الإنسان وتكاثر أفراده ، عن طريق دفقة مائيَّة تخرج من صلب الرَّجُل وترائب المرأة .

والتعبير القرآني يجعل النُّطفة طَوْراً من أطوار النشأة الإنسانية، وهي حقيقة رائعة تدعو إلى التأمُّل ، فالإنسان يُخْتَصَر ويُخْتَزَل بكلِّ عناصره وخصائصه في الحيوان المنوي ، ذلك الكائن المتناهي في الصِّغر الَّذي لا يُرى بالعين المجرَّدة ويشكِّل واحداً من مئات ملايين الحيوانات المنويَّة الموجودة في النطفة (٢).

النطفة الأمشاج

قال تعالى ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾(٣).

أَمْشَاجٍ أي: أخلاط ، والمشج والمشيج : الشيء الخَليط بعضه في بعض ، قال ابن عباس في قوله تعالى { **مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ** } ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ، ثم ينتقل بعد ذلك من طور إلى طور، ومن حال إلى حال ، ومن لون إلى لون (٤).

قال الفَرَّاءُ : الأَمشاجُ : هي الأَخْلاطُ : ماءُ الرجل وماءُ المرأَةِ ، والدَّمُ والعَلَقةُ

---

(١) وصف التخلق البشري كيث مور ص ١٠ ونظرة تاريخية في علم الأجنة – ج س جورنجر – عبدالمجيد الزنداني – مصطفى أحمد ٢ / ٢

(٢) انظر القرآن منهاج حياة – غازي صبحي آق بيق

(٣) سورة الإنسان آية ٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٨٥

وقال ابن السِّكِّيت : الأَمشاجُ : الأَخلاطُ ، يريد النُّطْفَة ، لأَنها مُمتزِجَةٌ من أَنواعٍ ، ولذالك يُولَد الإنسان ذا طبائعَ مُختلفةٍ ، وقال أَبو إِسحاقَ : أَمْشاجٌ : أَخْلاَطٌ من مَنِيَ ودَمٍ ، ثم يُنقَل مِن حالٍ إِلى حالٍ ، ويقال : نُطْفَةٌ أَمْشاجٌ ، أَي مُختلِطَةٌ بماءِ المَرأَةِ ودَمِهَا [1].

وهنا نقطة هامة تتصل بهذا النص القرآني ، وهي أن كلمة نطفة : اسم مفرد اما كلمة أمشاج فهي صفة في صيغة الجمع ، وقواعد اللغة تجعل الصفة تابعة للموصوف في الإفراد والتثية والجمع .

فبالرغم من انقسام النطفة في الداخل إلى خلايا، فإن طبيعتها في الخارج وفي مظهرها لا يتغيران عن النطفة ، لإنها تملك غشاء سميكاً يحفظها ويحفظ مظهر النطفة فيها.

فكلمة أمشاج من الناحية العلمية دقيقة تماماً ، وهي صفة جمع تصف كلمة نطفة المفردة ، التي هي عبارة عن كائن واحد يتكون من أخلاط متعددة تحمل صفات الأحفاد والأسلاف لكل جنين .

وخلال هذه الفترة ينطبق (مصطلح أمشاج) بشكل مناسب تماماً على النطفة في كافة تطوراتها إذ تظل كياناً واحداً من الخارج ومتعدداً من الداخل[2].

نتاج تكوين النطفة الأمشاج :

أ . الخلق : وهو البداية الحقيقية لوجود الكائن الإنساني ، فالمنوي يوجد فيه (٢٣) حاملاً وراثياً ، كما يوجد في البويضة(٢٣) حاملاً وراثياً [3].

ويندمج المنوي في البييضة لتكوين الخلية الجديدة التي تحوي عدداً من الصبغيات (الكروموسومات) مساوياً للخلية الإنسانية (٤٦) وبوجود الخلية التي

(١) تاج العروس من جواهر القاموس – محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق المعروف بالزَّبيدي ٢ / ٢١٥ **مجموعة من المحققين – دار الهداية**

(٢) علم الأجنة في القرآن والسنة – المجلس الأعلى للمساجد – هيئة الإعجاز العلمي – مكة المكرمة ص ٣٨

(٣) موسوعة البحوث والمقالات العلمية – جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود – بحث مراحل الجنين

تحمل هذا العدد من الصبغيات يتحقق الوجود الإنساني ، ويتقرر به خلق إنسان جديد لأن جميع الخطوات التالية ترتكز على هذه الخطوة وتنبثق منها ، فهذه هي الخطوة الأولى لوجود المخلوق الجديد [١].

ب . التقدير (البرمجة الجينية) بعد ساعات من تخلق أول خلية إنسانية تبدأ عملية التقدير ، فتتحدد فيها الصفات التي ستظهر على الجنين في المستقبل والصفات التي ستظهر في الأجيال القادمة ، وهكذا يتم تقدير أوصاف الجنين وتحديدها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هاتين العمليتين المتعاقبتين (الخلق والتقدير) في قوله تعالى ﴿ **قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَه** ﴾ [٢].

ج . تحديد الجنس:

ويتضمن التقدير الذي يحدث في النطفة الأمشاج تحديد الذكورة والأنوثة، وإلى هذا تشير الآية: قال تعالى ﴿ **وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ** ﴾ [٣] فإذا كان المنوي الذي نجح في تلقيح البييضة يحمل الكروموسوم (y) كانت النتيجة ذكراً وإذا كان ذلك المنوي يحمل الكروموسوم(x) كانت النتيجة أنثى [٤].

الحـرث

تبقى النطفة على ما قبل طور الحرث متحركة وتظل كذلك حين تصير أمشاجاً وبعد ذلك وبالتصاقها بالرحم تبدأ مرحلة الاستقرار التي أشار إليها الحديث النبوي الشريف ، عن حذيفة بن أسيد عن النبي أنه قال ﷺ يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يا رب

(١) علم الأجنة في القرآن والسنة – المجلس الأعلى للمساجد – هيئة الإعجاز العلمي – مكة المكرمة ص ٤٠

(٢) سورة عبس آية ١٧-١٩.

(٣) سورة النجم آية ٤٥-٤٦.

(٤) موسوعة البحوث والمقالات العلمية – جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود – بحث مراحل الجنين

أشقى أو سعيد فيكتبان فيقول أى رب أذكر أو أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص(١).

وفي نهاية مرحلة الأمشاج ينغرس كيس الجرثومة في بطانة الرحم بما يشبه انغراس البذرة في التربة في عملية حرث الأرض ، وإلى هذه العملية تشير الآية في قوله تعالى﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (٢).

وبهذا الانغراس يبدا طور الحرث ويكون عمر النطفة حينئذ ستة أيام .

ويستخدم علماء الأجنة الان مصطلح (انغراس) في وصف هذا الحدث وهو يشبه في معناه كلمة (الحرث) في العربية .

وطور الحرث هو آخر طور في مرحلة النطفة وبنهايته ينتقل الحمل من شكل النطفة ، ويتعلق بجدار الرحم ليبدأ مرحلة جديدة وذلك في اليوم الخامس العشر (٣).

من خلال ذلك نرى أن القرآن الكريم قد وصف كل جوانب مرحلة النطفة من البداية إلى النهاية ، مستعملا مصطلحات وصفية علمية دقيقة لكل طور من أطوارها .

فقد تحدث عن مرحلة الماء الدافق قال تعالى ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (٤).

وتحدث عن مرحلة النطفة الأمشاج ، فبالتلقيح بين المنوي والبويضة يكون الجنين في شكل نطفة مكونة من أخلاط ماء الرجل والمرأة وما فيها من أخلاط وراثية ، فكان وصفاً دقيقاً معبراً عن التركيب المفرد فهي (نطفة) وعن الأخلاط المجتمعة في النطفة فهي (أمشاج)

---

(١) أخرجه مسلم ك القدر ب كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ٨ / ٤٥ ح ٦٨٩٥

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢.

(٣) علم الأجنة في القرآن والسنة – المجلس الأعلى للمساجد – هيئة الإعجاز العلمي – مكة المكرمة ص ٤٢

(٤) سورة الطارق آية ٥ – ٧ .

وبين القرآن الكريم أن المرأة محل الحرث ، وبهذا الوصف يتبين لنا أن النطفة تنغرس في العضو الخاص بالحمل عند المرأة (الرحم) وبهذا الانغراس تبدأ النطفة في التغير لتصبح بعد ذلك علقة .

٢ – طور العلقة

العَلَقُ : الدم ما كان [١].

ويقول القائل في الوعيد : لتفعلنّ كذا أو لتَشْرَقَنّ بعَلَقة يعني الدّم ، كأنّه يتوعده بالقَتْل[٢].

وقيل هو الدم الجامد الغليظ ، وقيل الجامد قبل أن ييبس ، وقيل هو ما اشتدت حمرته [٣]

وهذا يتوافق مع شكل الجنين في هذا الطور حينما تتكون لديه الأوعية الدموية المقفلة والممتلئة بالدماء خلال الأسبوع الثالث .

والعَلَقَة الدم الجامد الذى يكون منه الولد ، لأنه يعلق ويتعلق بجدار الرحم[٤].

فالعلقة مشتقة من علق وهو الالتصاق والتعلق بشيء ما ، وهذا يتوافق مع تعلق الجنين ببطانة الرحم خلال الأسبوع الثاني .

والعلقة : دودة في الماء تمتص الدم ، وتعيش في البرك ، وتتغذى على دماء الحيوانات التي تلتصق بها ، والجمع علق ، وعلقت الدابة إذا شربت الماء فعلقت بها العلقة .

والعلقة أنا رأيتها بعيني في المجهر عبارة عن قطعة من اللحم طويلة مثل الإصبع ، أشبه بدودة صغيرة تعيش في المياه يسمونها علقة ، يعرفها أهل الريف

---

(١) لسان العرب ١٠ / ٢٦١ .

(٢) معجم مقاييس اللغة – ابن فارس – تحقيق : عبد السلام محمد هارون – دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٣) لسان العرب ١٠ / ٢٦١ ، والمعجم الوسيط ٢ / ٦٢٣ والقاموس المحيط ٣ / ٢٧٥ والمفردات للأصفهانى ص ٣٤٣

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة حملات المشككين – أحمد سيد إبراهيم ص ١٥٨

فهي تأتي في الماء وتنفرد وتمشي وتعلق في ألسنة البهائم، تأتي البهيمة أو البقرة أو الجمل فيشرب ، فيمتصها مع الماء فتعلق في فمه وبالتالي لا يستطيع أن يأكل حتى يخرجها ، وإلا ماتت البهيمة .

فالجنين في نهاية هذا الطور كما يقول المفسرون: يكون على شكل علقة مستطيلة لونها شديد الحمرة لما فيها من دم متجمد ، وهذا يتوافق مع الشكل الأخير لهذا الطور حيث يأخذ الجنين شكل الدودة التي تمتص الدماء وتعيش في الماء ويشترك الجنين معها في قوة تعلقه بعائله والحصول على غذائه من امتصاص دمائه.

هذا الكائن الَّذي يلتقي بالبويضة فيتحوَّل معها إلى نقطة صغيرة عالقة بجدار الرَّحم تتغذَّى من دم الأم ، وتختزن جميع خصائص الإنسان المقبل : سواء في ذلك صفاتُهُ الجسديَّة وسماته الخَلْقيَّة ؛ من طول وقصر ، وضخامة وضآلة ، وقبح ووسامة، وآفة وصِحَّة ، أو صفاته النفسية والخُلقية ، من ميول ونزعات ، وطباع واتجاهات ، ومواهب واستعدادات .

فما أعظم هذا الإعجاز! وما أعظم أن يكون ذلك كلُّه كامناً في تلك النقطة الضئيلة الَّتي سماها القرآن الكريم (علقة) تلك النقطة الصغيرة في الحجم ، الهائلة في القدرة ، عليها يرتكز تكوين هذا الإنسان المعقَّد تركيباً ، والمعجز بناءً وتكويناً الواحد أصلاً ونشأة ، والمختلف ألسنة وألواناً ، وخصائِصَ وطباعاً ، فلا يمكن أن يتطابق شخصان من السُّلالة البشرية على وجه هذه الأرض تطابقاً تامّاً وعلى امتداد العصور والأجيال [1].

والمدة الزمنية لهذا الطور هي من بداية الأسبوع الثالث وحتى منتصف الأسبوع الرابع من التلقيح .

(١) انظر القرآن منهاج حياة – غازي صبحي آق بيق

وتتجلى هذه المعاني التي وردت في النص القرآني في قوله تعالى﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ [1] فيما توصل إليه العلم الحديث عن هذه المرحلة وفيما يلي بيان موجز لها .

تلتصق النطفة التامة التكوين – والتي تسمى في هذه المرحلة المتكيسة الجرثومية (BLASTOCYST) بجدار الرحم في اليوم السادس في بداية طور الحرث (الانغراس) (IMPLANTATION) حتى تتزرع تماماً.

وتستغرق هذه العملية أكثر من أسبوع حتى تلتصق النطفة بالمشيمة البدائية بواسطة ساق موصلة تصبح فيما بعد الحبل السري.

وفي أثناء عملية الحرث تفقد النطفة شكلها لتتهيأ لأخذ شكل جديد هو: العلقة، الذي يبدأ بتعلق الجنين بالمشيمة، ووصف القرآن الكريم هذا التعلق بالعلقة ، وهذا يتفق مع المعنى (التعلق بالشئ) الذي يعتبر احد مدلولات كلمة علقة).

أما إذا أخذنا المعنى الحرفي للعلقة (دودة عالقة) فإننا نجد أن الجنين يفقد شكله المستدير ويستطيل حتى يأخذ شكل الدودة ، ثم يبدأ في التغذي من دماء الأم ، مثلما تفعل الدودة العالقة ؛ إذ تتغذى من دماء الكائنات الأخرى ، ويحاط الجنين بمائع مخاطي تماماً ، مثلما تحاط الدودة بالماء ، ويبين اللفظ القرآني (علقة) هذا المعنى بوضوح طبقاً لمظهر وملامح الجنين في هذه المرحلة.

وطبقاً لمعنى (دم جامد أو غليظ) للفظ العلقة ، نجد أن المظهر الخارجي للجنين وأكياسه يتشابه مع الدم المتخثر الجامد الغليظ ، لأن القلب وكيس المشيمة ومجموعة الأوعية الدموية القلبية تظهر في هذه المرحلة ، وتكون الدماء محبوسة في الأوعية الدموية – حتى وإن كان سائلا – ولايبدأ الدم في الدوران حتى نهاية الأسبوع الثالث ، وبهذا يأخذ الجنين مظهر الدم الجامد أو الغليظ مع كونه دماً رطباً.

(١) سورة المؤمنون الآية ٢٦٩ .

وتندرج الملامح المذكورة سابقاً تحت المعنيين المذكورين للعلقة (دم جامد) أو (دم رطب) أما الفترة الزمنية التي يستغرقها التحول من نطفة إلى علقة فإن الجنين خلال مرحلة الانغراس أو الحرث يتحول من مرحلة النطفة ببطء إذ يستغرق نحو أسبوع منذ بداية الحرث (اليوم السادس) إلى مرحلة العلقة ، حتى يبدأ في التعلق (اليوم الرابع عشر أو اليوم الخامس عشر) ويستغرق بدء نمو الحبل الظهرى حوالي عشرة أيام (اليوم السادس عشر) حتى يتخذ الجنين مظهر العلقة .

والدلالات الواردة في الآيات المذكورة فيما يتعلق بالفترة التي تتحول فيها النطفة إلى علقة تأتى من حرف العطف (ثم) الذي يدل على انقضاء فترة زمنية حتى يتحقق التحول إلى الطور الجديد .

وهكذا فإن التعبير القرآني (علقة) يعتبر وصفاً متكاملا دقيقاً عن الطور الأول من المرحلة الثانية لنمو الجنين ، ويشتمل على الملامح الأساسية الخارجية والداخلية .

ويتسع اسم (علقة) فيشمل وصف الهيئة العامة للجنين كدودة عالقة كما يشمل الأحداث الداخلية كتكون الدماء والأوعية المقفلة .

كما يدل لفظ علقة على تعلق الجنين بالمشيمة ، فالجنين في هذه المرحلة العقة يكون معلقاً في تجويف المشيمة بواسطة ساق ، ويكون محاطاً بسائل مخاطي وبكيس المح ، وذلك يتحقق مع المعاني الواردة في كلمة علقة التي وردت في النص [١] .

٣ – طور المضغة

في بداية الأسبوع الرابع وبالتحديد في اليوم الثاني والعشرين يبدأ القلب في النبض وينتقل الجنين إلى طور جديد هو طور المضغة.

---

(١) وصف التخلق البشرى ... طورا العلقة والمضغة – البروفيسور كيث مور وانظر سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق – الشيخ عبد المجيد الزنداني ص ٤

والمُضْغَةُ : قطعة لحم [١] .

وقال خالد بن جَنْبةَ : المُضْغةُ من اللحمَ قدْرُ ما يُلْقي الإنسانُ في فيه ، إذا صارت العَلَقة التي خُلِقَ منها الإنسان لَحْمة فهي مُضغة [٢] .

وفي تاج العروس : مضغ مَضَغَه ، كمَنَعَهُ ونَصَرَهُ ، يَمْضُغُه مَضْغاً لاكَهُ بسِنِّهِ طَعاماً أوْ غَيْرَه [٣] .

وقد تحدث المفسرون عن المضغة ووصفوها وصفاً دقيقاً

قال ابن كثير: مضغة : قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط[٤]

وقال القرطبي : هي لحمة قليلة قدر ما يمضغ [٥]

وقال الألوسي : هي قطعة لحم بقدر ما يمضغ لا استبانة ولا تمايز فيها[٦].

وقال الشعراوي : المضغة قطعة لحم صغيرة قَدْر ما يُمضغ من الطعام ، وهو خليط من عِدَّة أشياء ، كما لو أكلتَ مثلاً قطعة لحم مع ملعقة خضار مع ملعقة أرز [٧].

---

(١) العباب الزاخر واللباب الفاخر – الحسن بن محمد الصغاني المتوفّى ٦٥٠ هـ ١ / ٣٦٠ وتاج العروس ٢٢ / ٥٦٨

(٢) انظر لسان العرب ٨ / ٤٥٠

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس – محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي – تحقيق : مجموعة من المحققين ٢٢ / ٥٦٨ دار الهداية

(٤) تفسير ابن كثير ٢٥١/٣

(٥) الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد شمس الدين القرطبي المتوفى ٦٧١هـ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ١٢ / ٦ دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين الآلوسي – تحقيق : على عبد البارى عطية ٩ / ٢١٦ دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٥ هـ وانظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – أبو السعود العمادي (المتوفى : ٩٨٢هـ)

(٧) تفسير الشعراوي ص ٥٩٧٧

فالمضغة : قطعة لحم ، كانت علقة دماً ، ثم صارت دماً متماسكاً يعني : فيها نوع من التماسك ، كأنها لقمة شخص مضغها على أضراسه وأخرجها ، ولو دققت النظر في المضغة البشرية للإنسان لوجدت هذه الآثار ، ويقولون : إنها تأسيسات للعمود الفقري للإنسان ، وتنظره متعرجاً ، وآثار التضاريس طالعة ونازلة مثل آثار الأضراس إذا مضغت قطعة لحم ثم أخرجتها، فالإنسان في يوم من الأيام كان مضغة على هذا النحو (١).

وهذا ما يتوافق مع الجنين في أول هذا الطور حيث يتراوح حجمه من حبة القمح إلى حجم حبة الفول (٣ . ٥مم) وهو القدر الذي يمكن مضغه ، ويبدو سطحه من الخارج وقد ظهرت عليه النتوءات أو الكتل البدنية حيث تجعله كشيء لاكته الأسنان تماما ، لكن لا شكل فيه ولا تخطيط ، يدل على أنه جنين إنساني ولا تمايز للملامح الإنسانية ، ولا استبانة فيه لأي عضو من أعضاء الجسم الإنساني (٢) .

فالجنين يبدأ خلال آخر يوم أو يومين من مرحلة العلقة إتخاذ بعض خصائص المضغة، فتأخذ الفلقات (Somites) في الظهور لتصبح معلماً بارزاً لهذا الطور.

وقد أوضح علم الأجنة الحديث مدى الدقة في اختيار تسمية "مضغة " بهذا المعنى، إذ وجد أنه بعد تخلق الجنين والمشيمة في هذه المرحلة يتلقى الجنين غذاءه وطاقته ، وتتزايد بذلك عملية النمو بسرعة ، ويبدأ ظهور الكتل البدنية المسماة فلقات التي تتكون منها العظام والعضلات.

ونظراً للأعداد الكثيرة من الفلقات (الكتل البدنية) التي تتكون فإن الجنين يبدو وكأنه مادة ممضوغة عليها طبعات أسنان واضحة فهو مضغة .

---

(١) دروس للشيخ سعيد بن مسفر – سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ٤ / ١١٨

(٢) أطوار الجنين ونفخ الروح د. عبد الجواد الصاوي موقع www nooran.org

ويمكن إدراك تطابق مصطلح " مضغة " لوصف العمليات الجارية في هذا الطور في النقاط التالية :

١- ظهور الفلقات التي تعطي مظهراً يشبه مظهر طبع الأسنان في المادة الممضوغة ، وتبدو وأنها تتغير باستمرار مثلما تتغير آثار طبع الأسنان في شكل مادة تمضغ حين لوكها- وذلك للتغير السريع في شكل الجنين - ولكن آثار الطبع أو المضغ تستمر ملازمة.

فالجنين يتغير شكله الكلي ، ولكن التركيبات المتكونة من الفلقات تبقى وكما أن المادة التي تلوكها الأسنان يحدث بها تغضن وانتفاخات وتثنيات فإن ذلك يحدث للجنين تماماً .

٢. تتغير أوضاع الجنين نتيجة تحولات في مركز ثقله مع تكون أنسجة جديدة ويشبه ذلك تغير وضع وشكل المادة حينما تلوكها الأسنان.

٣. وكما تستدير المادة الممضوغة قبل أن تبلع، فإن ظهر الجنين ينحني ويصبح مقوساً شبه مستدير مثل حرف (C) بالإنجليزية.

٤. ويكون طول الجنين حوالي (١) سم في نهاية هذه المرحلة، وذلك مطابق للوجه الثاني من معاني كلمة مضغة وهو (الشيء الصغير من المادة) وهذا المعنى ينطبق على حجم الجنين الصغير ، لأن جميع أجهزة الإنسان تتخلق في مرحلة المضغة ولكن في صورة برعم .

وأما المعنى الثالث الذي ذكره بعض المفسرين للمضغة (في حجم ما يمكن مضغه) فإنه ينطبق ثانية على حجم الجنين ، ففي نهاية هذا الطور يكون طول الجنين (١) سم ، وهذا تقريباً أصغر حجم لمادة يمكن أن تلوكها الأسنان .

وأما طور العلقة السابق فقد كان الحجم صغيراً لا يتيسر مضغه إذ يبلغ (٣.٥) مم طولاً .

ولا تتمايز الفلقات في البداية ، ولكنها سرعان ما تتمايز إلى خلايا تتطور إلى أعضاء مختلفة ، وبعض هذه الأعضاء والأجهزة تتكون في مرحلة المضغة والبعض الآخر في مراحل لاحقة (١)

وبما أن الجنين يتحول ويتغير من يوم إلى يوم بل من ساعة إلى أخرى فالجنين في النصف الثاني من هذا الطور تقريباً تظهر عليه براعم اليدين والرجلين والرأس والصدر والبطن كما تتكون معظم براعم أعضائه الداخلية ، ومع احتفاظه بالشكل الخارجي المشابه لمادة ممضوغة يصدق عليه أنه مخلق وغير مخلق (٢).

وهاهو الوصف القرآني يقرر هذه الحقيقة قال تعالى ﴿ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ (٣).

قال البغوي : قال ابن عباس وقتادة : " مخلقة " أي تامة الخلق " وغير مخلقة " غير تامة أي ناقصة الخلق (٤).

وقال الطبراني : قوله تعالى { مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ } أي تامَّة الخلقِ وغيرِ تامة الخلقِ ، وَقِيْلَ : مصوَّرةٍ وغيرِ مصوَّرةٍ ، وهي السَّقْطُ (٥).

وقال ابن كثير : ثم يشرع في التشكيل والتخطيط ، فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن ، وفخذان ورجلان ، وسائر الأعضاء ، فتارة تُسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط ، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ولهذا قال

---

(١) انظر نظرة تاريخية في علم الأجنة – ج س جورنجر – عبدالمجيد الزنداني – مصطفى أحمد ص ٦٤ – ٦٨

(٢) أطوار الجنين ونفخ الروح د. عبد الجواد الصاوي موقع www nooran.org وانظر تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم د . محمد حسن محمد سبتان ص ٧٥

(٣) سورة الحج آية ٥

(٤) معالم التنزيل – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى ٥١٠هـ تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرون – دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

(٥) تفسير الطبراني – عند تفسيره الآية

تعالى: { ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ } أي: كما تشاهدونها (١).

وقال الشعراوي : أما غير المخلَّقة ، فقد عرفنا مؤخراً أنها الخلايا التي تُعوِّض الجسم وتُرقِّعه إذا أصابه عَطَب فهي بمثابة (احتياطي) لإعادة تركيب ما تلف من أنسجة الجسم وترميمها ، كما يحدث مثلاً في حالة الجُرْح فإنْ تركتَه لطبيعة الجسم يندمل شيئاً فشيئاً ، دون أنْ يتركَ أثراً (٢).

فالوصفان (مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) لابد أن يكونا لازمين للمضغة .

وفي هذا النص دلالة على أن التخليق يبدأ في هذا الطور وهو ما أكدته حقائق علم الأجنة في أن التخليق يبدأ من أول الأسبوع الرابع .

وينتهي هذا الطور قبيل نهاية الأسبوع السادس ، حيث يبدأ الطور التالي في التخليق

هذه الأطوار الثلاثة التي ذكرها الله عز وجل في سورة الحج ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ** ﴾ (٣).

وذكرها النبي في الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يوماً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ

(١) تفسير ابن كثير ٥ / ٣٩٥
(٢) تفسير الشعراوي ص ٥٩٧٧
(٣) سورة الحج آية ٥

حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ (١).

وهذه الأطوار هي أصل موضوعنا لأن الروح تنفخ بعد هذه الأطوار ولعل هذا هو السر في ذكرها فقط في آية الحج والأحاديث المتواترة التي جاءت عن النبي ﷺ .

وهناك أطوار أخرى ذكرها الله تعالى في سورة المؤمنون نوجزها تتمة للموضوع .

طور العظام

قال الله تعالى ﴿ **فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً** ﴾ (٢).

أفرد الله تعالى المضغة وجمع العظام ، وفي هذا دلالة على أن العظام بدأت تنتشر في المضغة وليس أن المضغة أصبحت عظماً ، كما فهم كثير من المفسرين القدامى .

ولقد أوردت المؤلفات العلمية المعاصرة وصفاً مفصلاً ، لتطور العظام والعضلات البشرية .

فمع بداية الأسبوع السابع يبدأ الهيكل العظمي الغضروفي في الانتشار في الجسم كله، فيأخذ الجنين شكل الهيكل العظمي وتكَوُّن العظام هو أبرز تكوين في هذا الطور حيث يتم الانتقال من شكل المضغة الذي لا ترى فيه ملامح الصورة الآدمية إلى بداية شكل الهيكل العظمي في فترة زمنية وجيزة ، وهذا الهيكل العظمي هو الذي يعطي الجنين مظهره الآدمي (٣).

---

(١) أخرجه البخاري ك بدء الخلق ب ذكر الملائكة ١٠ / ٤٨٥ ح ٢٩٦٩ ومسلم ك القدر ب كَيْفِيَّةِ الْخَلْقِ الآدَمِىِّ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٨ / ٤٤ ح ٦٨٩٣

(٢) سورة المؤمنون آية ١٤

(٣) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام – جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود ٦ / ١٤٥

والعظام لا تتطور معاً في آن واحد في الجسم كله ، بل هناك برنامج أو جدول زمني لتكونها.

وأول عظام يكتمل تكونها على سبيل المثال : هي عظيمات الأذن الداخلية (خلال المرحلة الجنينية) بينما لا تكتمل مراكز النمو للعظام الطويلة للأرجل إلا بعد سن العشرين من الولادة أو أكثر [١]

فالعظام تبدأ بالتخلُّق من داخل هذه المضغة [٢]

وهذه العظام تشتمل على الجمجمة والعمود الفقري والأضلاع والذراعين والكتفين والساقين والفخذين والأقدام ، وتكون الأضلاع كمثل الدبابيس منحنية ومتشابكة مع العمود الفقري من الوراء، ومتقابلة عند الصدر هيكل كامل [٣].

طور الكساء باللحم

تلي مرحلة العظام مرحلة أخرى تتميز عنها بكساء الهيكل العظمي باللحم من جميع جوانبه، فتتعدل الصورة الآدمية للجنين، وتتناسق الأعضاء بصورة أدق وبذلك يبدأ الجنين بالحركة في نهاية الأسبوع الثامن.

وهذه مرحلة متميزة عن مرحلة العظام في التركيب والتناسق والصورة وقدرة الجنين على الحركة .

قال تعالى ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ [٤].

قال الطبري : فألبسنا العظام لحما [٥]

وقال الطبراني : ثم ألبسنا العظام لحماً ؛ ليكون أبهى في النظر وليكون اللحم وقاية للعظم [١].

---

(١) انظر نظرة تاريخية في علم الأجنة – ج س جورنجر – عبدالمجيد الزنداني – مصطفى أحمد ص ٧٣

(٢) كنوز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – عبد الدائم الكحيل ص ٣١

(٣) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام – جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود ٦ / ١٤٥

(٤) سورة المؤمنون الآية ١٤ .

(٥) تفسير الطبري عند تفسيره الآية .

وقال النسفي : فأنبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس [٢]

وقال الشوكاني: أي أنبت الله سبحانه على كل عظم لحماً على المقدار الذي يليق به ويناسبه وكذا قال غيرهم [٣]

وهذا يتوافق مع ما ثبت في علم الأجنة من أن العظام تخلق أولاً ثم تكسى بالعضلات في نهاية الأسبوع السابع وخلال الأسبوع الثامن من تلقيح البييضة وبهذا تنتهي مرحلة التخليق حيث تكون جميع الأجهزة الخارجية والداخلية قد تشكلت ولكن في صورة مصغرة ودقيقة.

وبنهاية الأسبوع الثامن تنتهي مرحلة التخليق والتي يسميها علماء الأجنة بالمرحلة الجنينية.

هذا وقد أكد علم الفحص بأجهزة الموجات فوق الصوتية أن جميع التركيبات الخارجية والداخلية الموجودة في الشخص البالغ تتخلق من الأسبوع الرابع وحتى الأسبوع الثامن من عمر الجنين ، كما يمكن أن ترى جميع أعضاء الجنين بهذه الأجهزة خلال الأشهر الثلاثة الأولى [٤]

وهنا يقف الإنسان مدهوشا أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً بعد تقدم علم الأجنة التشريحي ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم ، وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولا في الجنين ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام ، وتمام الهيكل العظمي للجنين.

وهي الحقيقة التي سجلها القرآن الكريم منذ أمد بعيد ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ [٥] فسبحان العليم الخبير [١]

---

(١) تفسير الطبراني عند تفسيره الآية .

(٢) تفسير النسفي عند تفسيره الآية .

(٣) تفسير الشوكاني عند تفسيره الآية .

(٤) أطوار الجنين ونفخ الروح د. عبد الجواد الصاوي www nooran.org موقع وكنوز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – عبد الدائم الكحيل ص ٣١

(٥) سورة المؤمنون الآية ١٤ .

إن عملية خلق الإنسان جاءت فى القرآن بمنتهى الوضوح قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

وقد يسأل سائل ، إذا كان الله تعالى خلق آدم من تراب فلماذا وصف ذريته في كثير من الآيات بأنه خلقهم من تراب ؟

وكلام المفسرين هنا أنه حكاية عن الأصل ، أي أن الله تعالى خلق آدم من تراب وجاء بنوه ذرية منه .

وأقول إذا كان الله تعالى خلق بني آدم من نطفة أي بدأ خلقهم ، فإن أجسادهم من تراب على الحقيقة .

فقد أثبت العلم الحديث أن جسم الإنسان يحتوي ما تحتويه الأرض من عناصر فهو يتكوَّن من الكربون ، والأوكسجين ، والهيدروجين ، والفوسفور، والكبريت والآزوت ، والكالسيوم ، والبوتاسيوم ، والصوديوم ، والكلور ، والمغنيسيوم والحديد ، والمنجنيز ، والنحاس ، واليود ، والفلورين ، والكوبالت ، والزنك والسليكون ، والألمنيوم ، وكلٌّ هذه العناصر هي العناصر نفسها المكوِّنة للتراب أيضاً، وإن اختلفت نسبها بين الإنسان والتُّراب، ومن إنسان لآخر. كذلك فإن نسبة الماء من جسم الإنسان ، تعادل نسبة البحار إلى اليابسة في الكرة الأرضية وهذا ما يؤكد خلق آدم من تراب الأرض (٣)

إن هذا الوصف الدقيق لمراحل الجنين أذهل البرفسور مارشال جونسون رئيس قسم التشريح ومدير معهد دانيال بجامعة توماس جيفرسون بفلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، فقال: إنني كعالم أستطيع فقط أن أتعامل مع أشياء

---

(١) في ظلال القرآن – سيد قطب ص ٤/ ٢٤٥٩ دار الشروق القاهرة .

(٢) سورة غافر الآية ٦٧ .

(٣) موسوعة البحوث والمقالات العلمية – جمع وإعداد علي بن نايف الشحود بحث الإنسان بين القرود والخنازير بقلم وحيد حمدي

أستطيع أن أراها بالتحديد، أستطيع أن أفهم علم الأجنة وتطور علم الأحياء أستطيع أن أفهم الكلمات التي تترجم لي من القرآن ، إنني لا أرى شيئاً، لا أرى سبباً، لا أرى دليلاً على حقيقة تفند مفهوم هذا الفرد محمد ﷺ الذي لابُد وأنه يتلقى هذه المعلومات من مكان ما، ولذلك إنني لا أرى شيئاً يتضارب مع مفهوم : أن التدخل الإلهي كان مشمولاً فيما كان باستطاعته أن يبلغه".

ويضيف البرفسور كيث ل مور مؤلف الكتاب الشهير " أطوار خلق الإنسان" (The Developing Human) الذي يعتبر مرجعاً معتمداً في كليات الطب العالمية : " يتضح لي أن هذه الأدلة حتماً جاءت لمحمد ﷺ من عند الله ﷻ لأن كل هذه المعلومات لم تكشف إلا حديثاً وبعد قرون عدة، وهذا يثبت لي أن محمداً رسول الله [1]

" فمثل هذه العلوم يستحيل تحصيلها في تلك الأزمنة ، وخاصة من رجل أميّ نشأ في بيئة جاهلة [2].

المبحث الثالث
زمان نفخ الروح بين الدين والطب

لقد ذكر النبي الخاتم ﷺ أن نفخ الروح يأتي مباشرة بعد طور المضغة ، وذلك في الحديث الذي رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود قال قال حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يوماً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ

(١) إنه الحق : هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي ص ٤٩ والحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل جمع وإعداد علي بن نايف الشحود ١ / ١٠٥

(٢) تعرف على الإسلام د. منقذ بن محمود السقار ص ١٣

يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ (١).

فنفخ الروح يكون بعد طور المضغة ، ولكن متى ينتهي طور المضغة ؟

شاع فهم بين كثير من علماء المسلمين السابقين والمعاصرين على أن زمن أطوار الجنين الأولى: النطفة ، والعلقة ، والمضغة ، مدته مائة وعشرون يوماً بناء على فهم منطوق حديث جمع الخلق الذي رواه الإمام البخاري سالف الذكر

وقد تواترت وتكررت أقوال العلماء على هذا النحو

نقل ابن حجر في الفتح عن الفاضل علي بن المهذب قال نقل الفاضل علي بن المهذب الحموي الطبيب اتفاق الأطباء على أن خلق الجنين في الرحم يكون في نحو الأربعين وفيها تتميز أعضاء الذكر دون الأنثى لحرارة مزاجه وقواه، وعزى ذلك إلى قوام المنى الذي تتكون أعضاؤه منه ونضجه فيكون أقبل للشكل والتصوير ثم يكون علقة مثل ذلك والعلقة قطعة دم جامد ، قالوا وتكون حركة الجنين في ضعف المدة التي يخلق فيها ثم يكون مضغة مثل ذلك أي لحمة صغيرة وهي الأربعون الثالثة فتتحرك ، قال واتفق العلماء على ان نفخ الروح لا يكون الا بعد أربعة اشهر (٢).

ونقل عن القاضي عياض قال والذي اتفق عليه العلماء أن نفخ الروح لا يكون الا بعد أربعة اشهر (٣).

---

(١) أخرجه البخاري ك بدء الخلق ب ذكر الملائكة ١٠ / ٤٨٥ ح ٢٩٦٩ ومسلم ك القدر ب كَيْفِيَّةِ الْخَلْقِ الآدَمِيِّ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٤٤/٨ ح ٦٨٩٣

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ص ١١ / ٤٨١ – دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩

(٣) المرجع السابق ١١ / ٤٨٤

وقال بدر الدين العيني : قالوا " يجمع خلقه " بمعنى الجمع أي أن النطفة إذا وقعت في الرحم وأراد الله أن يخلق منها بشراً طارت في أطراف المرأة تحت كل شعرة وظفر فتمكث أربعين ليلة ثم تنزل دما في الرحم فذلك جمعها.

وقوله أربعين يوماً : هذه الأربعون الأولى النطفة فيها تجري في أطراف المرأة ثم تصير دما .

وقوله ثم تكون علقة : وهو الدم الغليظ الجامد وهذا في الأربعين الثانية أشار إليه بقوله مثل ذلك أي مثل الأول أربعين يوماً

قوله ثم تكون مضغة : وهي قطعة من اللحم قدر ما يمضغ وهذا في الأربعين الثالثة [١].

وقال القاضي عياض في إكمال المعلم : خلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه ، وكونه ذكراً أو أنثى ، وذلك إنما يكون بعد كونه مضغة فى الأربعين الثالثة قبل تمام خلقها [٢].

ونقل جلال الدين السيوطي عن النووي قال : قال النووي وظاهر هذا الحديث إرساله بعد مائة وعشرين يوماً وفي الروايات بعده أنه بعد أربعين أو بضع وأربعين ليلة وهي مؤولة بما يشار إليه لاتفاق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر [٣] .

وجاء في شرح سنن أبي داود : كل إنسان يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً أي: فيكون نطفة ، وهي ماء مهين ، فيمكث أربعين يوماً ، ثم يتحول إلى علقة أي قطعة صغيرة من اللحم، ثم يتحول إلى مضغة بعد أربعين يوماً أخرى فيكون على قدر ما يمضغه الآكل ، أي يضعه في فمه ، والمضغة

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري– بدر الدين العيني الحنفي ٢٢ / ٤٦٠ أهل الحديث ١٤٢٧ هـ

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤هـ ٨ / ٦١

(٣) الديباج على صحيح مسلم للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩ – ٩١١ هـ تحقيق أبو اسحق الحويني ٦ / ٦ دار ابن عفان

هي الأكلة التي يضعها الآكل في فمه ، فإذا أكملت هذه الأطوار الثلاثة ، يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويكون عند ذلك مكوناً من جسد وروح ، ويكون قد تخلق وصار على هيئة إنسان [١] .

وجاء في فيض القدير : يجعل الله تعالى ماء الرجل والمرأة جميعا (أربعين يوما) لتتخمر فيها حتى يتهيأ للخلق وهو فيها (نطفة) وذلك بأن أودع في الرحم قوتين قوة انبساط ينبسط بها عند ورود مني الرجل عليه فيأخذه ويختلط مع منيها وقوة انقباض يقبضهما بها لئلا ينزل منه شئ فإن المني ثقيل بطبعه وفم الرحم منكوس ، وأودع في مني الرجل وهو الثخين الأبيض قوة الفعل ، وفي منيها وهو الرقيق الأصفر قوة الانفعال ، فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالأنفحة الممتزجة بلبن ، وإن امتزجا ومضى عليه أربعون يوماً لحكمة خفيت عن أكثر المدارك أفاض عليهما صورة خلاف صورة المني وهو المشار إليه بقوله (ثم) عقب هذه الأربعين (يكون علقة) قطعة دم غليظ جامد (مثل ذلك) فإذا مضى عليه أربعون يوماً أفاض عليها صورة خلاف صورة العلقة وإليه الإشارة بقوله (ثم) عقب الأربعين الثانية (يكون) في ذلك المحل (مضغة) قطعة لحم بقدر ما يمضغ (مثل ذلك) الزمن وهو أربعون (ثم) بعد انقضاء الأربعين الثالثة (يرسل الله الملك) المعهود الموكل بالمضغة أو بالرحم فيبعث إليه حين يتكامل بنيانه وتتشكل أعضاؤه (فينفخ فيه الروح) [٢] .

وقال ابن رجب الحنبلي : فهذا الحديث [٣] يدلُّ على أنَّه يتقلب في مائة وعشرين يوماً ، في ثلاثة أطوار ، في كلّ أربعين منها يكون في طَوْرٍ ، فيكون في الأربعين الأولى نطفةً ، ثم في الأربعين الثانية علقةً ، ثم في الأربعين الثالثة

(١) شرح سنن أبي داود – عبد المحسن العباد ٢٧ / ١٣١

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير – زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي المتوفى : ١٠٣١هـ ٢ / ٥٢٤ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ

(٣) يقصد حديث البخاري الذي ذكرناه في أول المبحث

مضغةً ، ثم بعد المئة وعشرين يوماً ينفخ المَلَكُ فيهِ الرُّوحَ ، ويكتب له هذه الأربع كلمات [١] .

ويعلم من كلام هؤلاء الأكابر أن الإنسان يتم خلقه في بطن أمه ونفخ الروح فيه ، بعد مائة عشرين يوماً.

وقد بنوا فهمهم هذا على ما فهموه من رواية البخاري ، أي أن النطفة والعلقة والمضغة تتم على التوالي في فترات طول كل منها أربعون يوماً ، وفهموا أن عبارة (مثل ذلك) تشير إلى الفترة الزمنية (أربعين يوماً) واستنتجوا من ذلك أن المضغة لا تتم إلا بعد (١٢٠) يوماً .

ولكن يعكر صفو هذا الفهم تلك الروايات الصحيحة الي تحدثت صراحة وبألفاظ واضحة أن الإنسان يتم خلقه بعد أربعين يوماً ، وبالتالي تنفخ فيه الروح .

لأن نفخ الروح يأتي مباشرة بعد انتهاء طور المضغة كما وضح الحديث بعد هذه المدة وليس بعد مائة وعشرين يوماً .

وهذه الأحاديث كثيرة ومتواترة

الأول : عن حذيفة بن أسيد الغفارى ﷺ عن النبي ﷺ إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص[٢].

---

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم – عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب المتوفى ٧٩٥ هـ تحقيق د . ماهر ياسين الفحل ٤/٦

(٢) أخرجه مسلم ك القدر ب كَيْفِيَّةِ الْخَلْقِ الآدَمِيِّ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٨ / ٤٥ ح ٦٨٩٦ وابن حبان ك التاريخ ب بدء الخلق ١٤ / ٥٢

الثاني : وعن حذيفة بن أسيد ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يا رب أشقى أو سعيد فيكتبان فيقول أى رب أذكر أو أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص(١).

الثالث : وعن حذيفة بن أسيد الغفارى قال سمعت رسول الله ﷺ بأذنى هاتين يقول إن النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك فيقول يا رب أذكر أو أنثى فيجعله الله ذكرا أو أنثى ثم يقول يا رب أسوى أو غير سوى فيجعله الله سويا أو غير سوى ثم يقول يا رب ما رزقه ما أجله ما خلقه ثم يجعله الله شقيا أو سعيدا (٢).

الرابع : وعن جابر قال قال رسول الله ﷺ إذا استقرت النطفة في الرحم أربعين يوماً أو أربعين ليلة بعث إليها ملكا فيقول يا رب ما رزقه فيقال له فيقول يا رب ما أجله فيقال له فيقول يا رب ذكر أو أنثى فيعلم فيقول يا رب شقي أو سعيد فيعلم (٣).

ح ٦١٧٧ والطبراني في الكبير ٨ / ٤٥ ح ٦٨٩ والبيهقي في الكبرى ك العدد ب المرأة تضع سقطاً ٧ / ٤٢٢ ح ١٥٨٢٢

(١) أخرجه مسلم ك القدر ب كَيْفِيَّةِ الْخَلْقِ الآدَمِىِّ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٨ / ٤٥ ح ٦٨٩٨ والأحكام الشرعية الكبرى – أبو محمد عبد الحق الإشبيلي٥١٠هـ – ٥٨١هـ تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ٣ / ٤٧٧ مكتبة الرشد – السعودية الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

(٢) أخرجه مسلم ك القدر ب كَيْفِيَّةِ الْخَلْقِ الآدَمِىِّ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٨ / ٤٦ ح ٦٨٩٥ وأحمد ٤ / ٦ ح ١٦١٨ والطبراني في الكبير ٣ / ٢٩٠

(٣) أخرجه أحمد في مسند جابر ﷺ ٣ / ٣٩٧ ح ٥٣٠٤ قال شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره

الخامس : وفي السنة لأبي عاصم من حديث ابن مسعود إن النطفة إذا وقعت في الرحم أربعين ليلة وقال أصحابي خمسا وأربعين ليلة نفخ فيه الروح قال فيجيء ملك الرحم فيدخل فيصور له عظمه ولحمه ودمه وشعره وبشره وسمعه وبصره ثم يقول أي رب أذكر أم أنثى فيقضي الله إليه فيه ويكتب الملك فيقول أي رب أشقي أم سعيد فيقضي الله إليه ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول أي رب أثره فيقضي الله تعالى ويكتب الملك فيقول أي رب أجله فيقضي الله ما يشاء ويكتب الملك ثم تطوى تلك الصحيفة فلا تمس إلى يوم القيامة (١).

السادس : وهناك حديث أخرجه مسلم بلفظ البخاري ولكن مع زيادة يسيرة ولا شك أن هذه الزيادة جاءت لمعنى ، عن عبد الله قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها (٢).

وقد روي عن جماعة من الصحابة أن الكتابة تكون في الأربعين الثانية عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : إذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها ملك فاختلجها ثم عرج بها إلى الله عز وجل،

---

(١) السنة – عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني المتوفى ٢٨٧ المحقق : محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ صحّحه الألباني في ظلال الجنة ١ / ٦٧ ح ١٧٩

(٢) أخرجه مسلم ك القدر ب كَيْفِيَّةِ الْخَلْقِ الآدَمِيِّ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٨ / ٤٤ ح ٦٨٩٣

فقال : اخلق يا أحسن الخالقين ، فيقضي الله فيها بما شاء من أمره ، ثم تدفع إلى الملك فيسأل الملك عند ذلك فيقول : يا رب ، أسقط أم تم ؟ فيتبين له، ثم يقول : يا رب أواحد أم توأم ؟ فيتبين له ، ثم يقول : يا رب ، أذكر أم أنثى ؟ فيتبين له ، ثم يقول : يا رب ، أناقص الأجل أم تام الأجل ؟ فيتبين له ، ثم يقول : يا رب ، أشقي أم سعيد ؟ فيبين له ، ثم يقول : يا رب ، اقطع رزقه فيقطع له رزقه مع خلقه فيقضيهما جميعا ، فوالذي نفس محمد بيده لا ينال إلا ما قسم له يومئذ ، إذا أكل رزقه قبض [1].

وخرج الفِرْيابِي بإسناده عن أبي ذر ﷺ قال إن المني يمكث في الرحم أربعين ليلة ، فيأتيه ملك النفوس فيعرج به إلى الجبار في راحته فيقول : يا رب عبدك أذكر أم أنثى ، فيقضي الله تعالى بما هو قاض ، ثم يقول : يا رب أشقي أم سعيد ، فيكتب ما هو لاق بين عينيه فتلا أبو ذر من فاتحة سورة التغابن خمس آيات [2].

ويمكن أن يفهم من هذه الأحايث والآثار أن الروح تنفخ في الجنين بعد مرحلة المضغة بعد الكتابة أوقبلها ، وكل هذا بعد الأربعين الأولى ، أي بعد الأسبوع السادس من عمره أي في أول طور العظام .

ولقد رأيت وصفاً ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح يدل على أن الجنين يتم خلقه في الأربعين الأولى ، إلا ابن حجر قال بالأطوار الأخرى وأنها تقع في ثلاثة أربعينات قال : قالوا إن المنى إذا اشتمل عليه الرحم ولم يقذفه استدار على نفسه واشتد إلى تمام ستة أيام فينقط فيه ثلاث نقط في مواضع القلب والدماغ

(١) القدر وما ورد في ذلك من الآثار– عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي (١٢٥ – ١٩٧) المحقق د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم ١ / ١٦٣ دار السلطان – مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٤٠٦

(٢) القدر – أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفِرْيابِي المتوفى ٣٠١هـ ١ / ١٠٤ ح ١٠٢

والكبد ثم يظهر فيما بين تلك النقط خطوط خمسة إلى تمام ثلاثة أيام ثم تنفذ الدموية فيه إلى تمام خمسة عشر فتتميز الأعضاء الثلاثة ثم تمتد رطوبة النخاع إلى تمام اثني عشر يوماً ثم ينفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع والبطن عن الجنين في تسعة أيام ثم يتم هذا التمييز بحيث يظهر للحس في أربعة أيام فيكمل أربعين يوماً فهذا معنى قوله صلى الله عليه و سلم يجمع خلقه في أربعين يوماً وفيه تفصيل ما أجمل فيه ولا ينافي ذلك قوله ثم تكون علقة الأربعين الثانية تنتقل عن صورة المني ويظهر التخطيط فيها ظهورا خفيا على التدريج ثم يتصلب في الأربعين يوماً بتزايد ذلك التخليق شيئا فشيئاً حتى يصير مضغة مخلقة ويظهر للحس ظهوراً لا خفاء به وعند تمام الأربعين الثالثة والطعن في الأربعين الرابعة ينفخ فيه الروح [1].

ولا شك أنَّ الجنين لا يمكن وصفه بالعلَقة ولا بالمضغة بعد انفصال الرأس عن المنكبين والأطراف عن الضلوع ولعل هذه كانت بداية التفكير في أن التخلق يتم في الأربعين الأولى .

❁❁❁❁❁

شرح الأحاديث السالفة الذكر والإبانه عن الفهم المستقيم لها [2].

أخبر النبي ﷺ في حديث البخاري أن الجنين يجمع خلقه في أربعين يوما، فما هو هذا الجمع للخلق ؟

تعني كلمة جمع في اللغة : جمع الشيء عن تفرقة [3].

---

(١) فتح الباري ١١ / ٤٨١

(٢) لم أقل شرح الأحاديث السالفة والجمع بين الروايات المتعارضة كما هو مشهور على ألسنة كثير من شراح الأحاديث ، لأنه في الحقيقة ليست هناك ثمة اختلاف في كلام النبي ، ولكن الاختلاف جاء من تفاوت الفهم عند الناس ، أو أن بعض الرواة تصرفوا في بعض الألفاظ .

(٣) لسان العرب ٨ / ٥٣ والمحكم والمحيط الأعظم – أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ٤٥٨هـ تحقيق عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت عام٢٠٠٠م

قال ابن حجر : والمراد بالجمع ضم الشئ بعضه إلى بعض بعد الانتشار[١].

فما هو الشيء المنتشر المفرق الذي يضم بعضه إلى بعض لتحقيق تكون الخلق ؟

إن هذه العبارة النبوية غاية في الدقة العلمية ؛ حيث يمكن استنتاج أن النبي ﷺ أشار بها إلى انقسام وتكاثر الخلايا الجنينية الهائل والسريع وفي اتجاهات متفرقة ، وعلى تمايز هذه الخلايا في طور العلقة ، ثم تجمع خلايا كل عضو من أعضاء الجنين ليتم تكونه وتخلقه في طور المضغة في صورة براعم أولية ، ولا تنتهي الأربعون يوماً الأولى إلا وخلايا جميع أعضاء الجنين المختلفة قد تمايزت وهاجر ما هاجر منها وتجمعت في أماكنها المحددة لها بعد أن كانت متشابهة وغير متمايزة في مرحلة التكاثر الهائل والسريع للخلايا الجنينية الأولية في الأسابيع الأولى [٢].

كما أخبر النبي ﷺ في نفس الحديث أن أطوار الجنين الأولى ؛ العلقة والمضغة تبدأ وتكتمل أوصافها وتنتهي خلال هذه أربعين يوماً .

فالحديث يتكلم عن التحديد الزمني لقضيتين : الأولى : زمن جمع الخلق لخلايا أعضاء الجسم في صورة براعم أولية .

والثانية : زمن أطوار الجنين ؛ العلقة والمضغة ومن قبل ذلك النطفة مع عدم ذكرها في الحديث وهذا هو الأصل لأن كلمة النطفة لا وجود لها في الروايات الصحيحة

ولم يذكر النبي ﷺ طور النطفة في الحديث ؛ على خلاف ما هو مشهور على ألسنة الخلق وهو خطأ ، لأنه يتحدث عن مراحل " التخلق " وهي العلقة والمضغة .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر أبو الفضل العسقلاني ١١ / ٤٧٩

(٢) أطوار الجنين ونفخ الروح د. عبد الجواد الصاويwww nooran.org

لأن مرحلة النطفة تجميع لخلايا البويضة الأنثوية وخلايا الحيوان المنوي الذكوري ، وليست مرحلة " تخلق " كالعلقة والمضغة التي يتم فيها تخليق بعض الأعضاء الأولية في جسم الجنين ؛ لذلك نجد أن الله تعالى قال ﴿**ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**﴾ (١) ولم يقل عز وجل: " ثم خلقناه نطفة في قرار مكين" كما قال عن المضغة والعلقة ﴿ **ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما** ﴾ (٢) وهذا يدل على إعجاز النبي ﷺ في اختيار ألفاظه الدقيقة .

كما أخبر النبي ﷺ في **الحديث الأول** أن الجنين قبل اليوم الثاني والأربعين لا يمكن تمييز صورته الإنسانية ولا تخلق أجهزته بصورة تامة ؛ ولكن بعد اليوم الثاني والأربعين ، فالحديث يشير بوضوح إلى تصويرَ الجنين وتشكله وخلقَ سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظامه وتمايز أعضائه الجنسية ، وهذه تهيئة لنفخ الروح .

وبينما يستمر طور المضغة حتى الأسبوع السادس تقريباً فإن طور العظام يظهر في بداية الأسبوع السابع بتطور الهيكل العظمي الغضروفي ، وحول هذه الأمور جاء حديث حذيفة بن أسيد الغفاري السابق وهو **الحديث الثاني**

ويتخذ الجنين في بدء طور العظام المظهر الإنساني الذي يميزه عن غيره من الأجنة ، كما يصف الحديث الشريف ذلك بكلمة "صورها".

ويصعب قبل اليوم الثاني والأربعين تمييز الجنين البشري عن أجنة كثير من الحيوانات، مع أنه يكون مميزاً بوضوح في مظهره ، وتبدأ بعض الخلايا غير المتخصصة للجنين في التخصص، وتتحول إلى أجزاء وظيفية متنوعة.

(١) سورة المؤمنون آية ١٣

(٢) سورة المؤمنون آية ١٤

وينجم عن هذه العملية تكون الأعضاء وتهيئتها اللازمة للحياة ، ويصبح سطح الجسم أكثر استواءً في طور العظام ، ويتخذ في هذا الطور مظهراً أكثر استقامة كما ورد في القرآن الكريم ﴿ **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** ﴾ (١).

وفي **الحديث الثالث والرابع** تكون الكتابة ، فيقول الملك يا رب أذكر أو أنثى فيجعله الله ذكرا أو أنثى ثم يقول يا رب أسوى أو غير سوى فيجعله الله سويا أو غير سوى ثم يقول يا رب ما رزقه ما أجله ما خلقه ثم يجعله الله شقيا أو سعيداً

والكتابة تكون بعد مرحلة المضغة كما هو مصرح به في الأحاديث وقد نص هنا على أن الكتابة تكون بعد أربعين يوماً.

وفي **الحديث الخامس** يأتي فيه الأمر واضحاٍ جلياً من حديث ابن مسعود قال : إن النطفة إذا وقعت في الرحم أربعين ليلة وقال أصحابي خمساً وأربعين ليلة نفخ فيه الروح .

والحديث السادس الذي هو من رواية الإمام مسلم والذي جاءت فيه الزيادة التي أشرت إليها قبل ذلك يساعدنا على الفهم المستقيم والتوفيق بين الروايات المتعارض فهمها عندنا .

وكذلك الفهم لا يستقيم إلا من خلال مجموع النصوص .

فرواية البخاري : قال ﷺ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يوماً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ (٢).

(١) نظرة تاريخية في علم الأجنة ٤ / ٤ والآية ٧ من سورة الانفطار

(٢) أخرجه البخاري ك بدء الخلق ب ذكر الملائكة ١٠ / ٤٨٥ ح ٢٩٦٩

ورواية مسلم : قال رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها [(١)].

رواية مسلم تزيد لفظ (في ذلك) في موضعين قبل لفظ (علقة) وقبل لفظ (مضغة) وهي زيادة صحيحة من أصل المتن .

فقوله (ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك) أي في الأربعين الأولى ، فاسم الإشارة الأول يشير إلى الأربعين الأولى .

وقوله (ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك) أي في الأربعين الأولى ، فاسم الإشارة الثاني يشير إلى الأربعين الأولى أيضاً ، وهذا أمر واضح في الحديث لا يحتاج استخراج معناه إل كبير عناء.

ولعل الذي زاد الأمر تعقيداً عند كثير من الفقهاء وشراح الأحاديث كلمة (ثم) ومعلوم من قواعد اللغة العربية أن (ثم) تفيد الترتيب والتراخي بين الخبر قبلها وبين الخبر بعدها.

فاستبعدوا أن تكون للتراخي ويتم هذا كله في أربعين يوماً .

لكني أقول ليس هذا هو حال (ثم) دائماً ، فقد تأتي لا تفيد ترتيباً ولا تراخياً وذلك إذا جاءت قرينة تدل على أنها لا تفيد ذلك ، مثل قوله تعالى﴿**ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾ [(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم ك القدر ب كَيْفِيَّةِ الْخَلْقِ الآدَمِيِّ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٨ / ٤٤ ح ٦٨٩٣

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٣ ، ١٥٤

ومن المعلوم أن وصية الله لنا في القرآن جاءت بعد كتاب موسى ، فـ (ثم) هنا لا تفيد ترتيب المخبر عنه في الآية .

قال ابن كثير : وثُم هاهنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر، لا للترتيب هاهنا كما قال الشاعر:

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُم سَادَ أبوهُ ... ثُمّ قد سَادَ قَبْلَ ذَلكَ جَده [1].

وعلى هذا يكون حديث ابن مسعود: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك (أي في ذلك العدد من الأيام) علقة (مجتمعة في خلقها) مثل ذلك (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين) ثم يكون في ذلك (أي في نفس الأربعين يوماً مضغة (مجتمعة مكتملة الخلق المقدر لها) مثل ذلك أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين يوماً .

فينبغي فهم حديث ابن مسعود برواية البخاري بما ينسجم مع رواية مسلم ومع الأحاديث الأخرى المتعلقة بالموضوع .

وينبغي التنبيه على أن هناك كلمة أدرجت في رواية البخاري على ألسنة الخلق واشتهرت في أقوالهم ، هذة الكلمة عمقت المفهوم الخاطئ لأطوار الجنين وهي: كلمة (نطفة) في الجملة الأولى من الحديث ، فكلمة نطفة غير موجودة في رواية البخاري فضلا عن عدم وجودها في أي رواية صحيحة .

بعد استعراض ما تقدم نرى أن : النطفة ، والعلقة ، والمضغة ، تكتمل خلال الأربعين يوماً الأولى ، وترى الجنين في نهاية هذه المراحل في شكل مضغة لا يدل على مخلوق إنساني .

وفي اليوم الخامس والأربعين يتم تكون الأعضاء وينتشر الهيكل العظمي بصورة ظاهرة ويستمر الانقسام الخلوي والتمايز الدقيق بعد ذلك ، ولكن الخطوات الأساسية للتفريق بين شكل المضغة والشكل الإنساني تكتمل بين اليوم أربعين وخمساً وأربعين[2].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٦٨

(٢) انظر علم الأجنة في القرآن والسنة ص ٦ / ٥

متى تنفخ الروح في الجنين؟ أبعد أربعين واحدة أم بعد ثلاثة أربعينات ؟

أولاً : هذه القضية لا يمكن أن يفصل فيها العلم الحديث ولكن تفصل فيها النصوص الشرعية.

ثانياً : اتفق علماء المسلمين على أن الجنين تنفخ فيه الروح بعد اكتمال طور المضغة، بناء على هذا النصوص النبوية الصريحة .

وبما أنه قد ثبت أن زمن المضغة يقع في الأربعين يوماً الأولى، بنص رواية الإمام مسلم لحديث جمع الخلق [١] وحديث حذيفة بن أسيد (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون يوما...الحديث) [٢].

إذاً فالروح تنفخ بعد الأربعين الأولى من عمر الجنين ليس قبل ذلك بيقين .

ثالثا : جاء في رواية مسلم : أن رسول الله ﷺ إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ... الحديث [٣].

ويفهم من ذلك أن نفخ الروح يكون قبل الكتابة بصريح عبارة هذا الحديث.

رابعاً : جاء في رواية أخرى لمسلم وابن حبان والطبراني في الكبير والبيهقي في الكبرى من حديث حذيفة بن أسيد الغفارى ﷺ عن النبي ﷺ إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك.... الحديث [٤].

---

(١) الحديث السادس ص ٣٨

(٢) الحديث الثاني ص ٣٧

(٣) سبق تخريجه

(٤) سبق تخريجه

ويفهم من هذا الحديث بصريح العبارة وبالمنطوق ، أن الكتابة تكون بعد خلق العظم .

خامساً : ذكر القرآن الكريم أن العظام تتكون بعد طور المضغة ، قال تعالى:{ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا } وحدد النبي ﷺ في حديث حذيفة الذي بين أيدينا أن بدء تخلق العظام يكون بعد الليلة الثانية والأربعين من بدء تكون النطفة أي بعد طور المضغة .

ويزداد الأمر وضوحاً بالحديث الذي جاء في السنة لأبي عاصم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أن قال إن النطفة إذا وقعت في الرحم أربعين ليلة وقال أصحابي خمساً وأربعين ليلة نفخ فيه الروح قال فيجيء ملك الرحم فيدخل فيصور له عظمه ولحمه ودمه وشعره وبشره وسمعه وبصره ... الحديث [1].

وهذا الحديث صريح في أن نفخ الروح يكون بعد الليلة الأربعين إلى الليلة الخامسة والأربعين من بدء تكون النطفة أي بعد طور المضغة وقبل تكون العظام الذي يبدأ بعد ذلك مباشرة بدليل قول الله تعالى { **فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا** }

إذاً : فنفخ الروح يكون ما بين اليوم الأربعين واليوم الخامس والأربعين حسبما يشاء الله تعالى ، والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب .

رأي الطب والعلم

يبدأ طور النطفة من التقاء ماءي الرجل والمرأة فتكون نطفة مختلطة من سائلين وتتحرك في وسط من السائل نزل حاملاً لكل منهما ، وبعد حوالي ستة أيام من ذلك يشق الجنين طريقه إلى سطح بطانة الرحم حيث يتم انغراس النطفة في الرحم ، وتكتمل بذلك مرحلة النطفة في اليوم الرابع عشر (اليوم ١٤) من التلقيح تقريباً.

وطور العلقة يبدأ في اليوم الخامس عشر (اليوم ١٥)

حيث تستمر الخلايا في التراكم بعد مرحلة النطفة ، ويتصلب الجنين مع زيادة تراكم الخلايا ، ويأخذ الجنين في اليوم (الحادي والعشرين) شكلاً يشبه

(١) سبق تخريجه

العلقة ، كما تعطي جزر الدماء المحبوسة في الأوعية الدموية للجنين لون قطعة من الدم المتخثر ويكون هذا إلى اليوم الواحد والعشرين (اليوم ٢١) وبهذا تتكامل المعاني التي يدل عليها لفظ علقة وينتهي هذا الطور في اليوم الثالث والعشرين أو الرابع والعشرين (اليوم ٢٣ أو ٢٤) مع تفاوت زمني قدره بضع ساعات من جنين لآخر .

ويبدأ طور المضغة بظهور الكتل البدنية في اليوم الرابع والعشرين (٢٤) أو الخامس والعشرين (٢٥) في أعلى اللوح الجنيني ، ثم يتوالى ظهور هذه الكتل بالتدريج إلى مؤخرة الجنين .

وفي اليوم الثامن والعشرين (٢٨) من الإخصاب يتكون الجنين من عدة فلقات تظهر بينها انبعاجات ، وبوجودها يصبح شكل الجنين شبيهاً بالعلكة الممضوغة من حيث المظهر الخارجي .

ويكتسب الجنين تدريجياً شكل المضغة من حيث الحجم حيث يتراوح حجم الجنين من حجم حبة القمح إلى حجم حبة الفول (١سم تقريباً) و هو القدر الذي يمكن مضغه ، ويبدو سطحه من الخارج ، و قد ظهرت عليه النتوءات أو الكتل البدنية بحيث يبدو ، وكأنه شيء لاكته الأسنان تماماً لكن لا شكل فيه، و لا تخطيط يجعله يدل على أنه جنين إنسانى لكن الجنين يظل يتحول و يتغير من ساعة إلى أخرى حيث تظهر عليه فى النصف الثانى من هذا الطور براعم اليدين والرجلين والرأس والصدر والبطن كما تتكون معظم براعم أعضائه الداخلية ، ومع احتفاظه بالشكل الخارجى المشابه لمادة ممضوغة ، وينتهي هذا الطور بنهاية الأسبوع السادس .

وفي الأسبوع السابع تبدأ الصورة الآدمية في الوضوح نظراً لبداية انتشار الهيكل العظمي.

وحين يبلغ الجنين من العمر ستة أسابيع ونصف الأسبوع يصبح طوله حوالي ٢,٥سم ويزن حوالي ٠,٩جم ويتم امتصاص الغذاء، والأكسجين، والماء، من نسيج الأم في المشيمة وتتدفق هذه المواد للجنين عبر الحبل السُّري.

وهكذا أثبت علماء الأجنة بهذه الأجهزة الدقيقة هذه الحقائق التي تؤكد في مجملها أن أطوار الجنين الأولى من النطفة والعلقة والمضغة، تحدث كلها خلال الأربعين يوماً الأولى، ويجمع في كل منها خلق أعضاء الجنين وأجهزته في صورته الابتدائية خلال الأربعين يوماً الأولى من عمره، وأن حركات الجنين الإرادية وبدء عمل وظائف أعضاء الجنين الرئيسية تحدث في الأربعين يوماً الثانية من عمره

فحصيلة الأطوار الثلاث النطفة والعلقة والمضغة النطفة والعلقة والمضغة ٤٢ يوماً وليس١٢٠يوماً، فالقول بأن النطفة تستغرق ٤٠ يوماً والعلقة ٤٠ يوماً والمضغة أربعين يوماً ، قول غير صحيح [١].

لأن الجنين في اليوم العشرين أو الثلاثين أو التاسع والثلاثين لا يمكن وصفه كقطرة الماء ، بل يختلف في شكله وحجمه عنها على وجه اليقين حيث أصبح شكله الخارجي شكل .

والجنين في اليوم الستين أو السبعين لا يمكن وصفه بأنه على شكل الدودة التي تعيش في البرك وتمتص الدماء أو أنه يظهر على شكل قطعة دم جامدة حيث يكون الجنين في هذه الفترة قد تشكل وتطور وتم خلق جميع أعضائه.

والجنين بعد اليوم الثمانين وإلى اليوم المائة والعشرين لا يمكن وصفه بحال بأنه مضغة لا شكل فيها ولا تخطيط أو أنه مخلق وغير مخلق حيث تكون أجهزة الجنين قد تخلقت منذ زمن بعيد، والجنين نفسه في منتهى الحيوية والنشاط ويمارس جميع حركاته وانفعالاته [٢] .

---

(١) علم الأجنة في القرآن والسنة ص ١١٨ – ١١٩ والموسوعة العربية العالمية (الجنين) ٢ / ٢ وأطوار الجنين ونفخ الروح د. عبد الجواد الصاوي موقع www nooran.org ومع الطب في القرآن الكريم للدكتور / عبد الحميد دياب ، د / أحمد قرقوز مؤسسة علوم القرآن دمشق ص ٨٠ وما بعدها.

(٢) أطوار الجنين ونفخ الروح د. عبد الجواد الصاوي موقع www nooran.org وانظر مع الطب في القرآن الكريم للدكتور / عبد الحميد دياب ، د / أحمد قرقوز مؤسسة علوم القرآن دمشق ص ٨٠ وما بعدها.

لكن هل اكتشف العلم علامات تدل على أن الجنين قد نفخت فيه الروح ؟

اكتشف العلم الحديث أن الجنين ينام في بطن أمه ولا شك أن النوم علامة على نفخ الروح فيه قياساً على النائم الذي يتمتع بالحياة رغم أن الروح قد قبضت منه مؤقتا ، أخذاً من قول الله تعالى﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

كما يمكن أن تكون الحركات الإرادية دليلاً على وجود الروح .

وقد أشار لذلك ابن القيم في وصفه الجنين قبل وبعد نفخ الروح فقال : كانت فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ، ولم تكن حركة نموه واغتذاءه بالإرادة، فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسيته وإرادته إلى حركة نموه واغتذائه (٢) .

وقد أثبتت الأجهزة الحديثة رؤية حركات جسم الجنين في وقت مبكر؛ حيث يمكن أن تصور عند الأسبوع الثامن أو عندما يبلغ كيس الحمل ٣سم أو يبلغ طول الجنين حوالي ١٥ مم.

كما يمكن أن ترى الحركات الجنينية التي تعبر عن حيوية الجنين مثل حركات التنفس وحركات الأطراف العليا وضربات القلب وحركات عدسة العين والبلع وحركات الأمعاء الدودية.

كما رصدت الحركات التي تعبر عن نشاط الجنين مثل البلع وحركة اليد إلى الفم والمضغ وحركات اللسان و حركة اليد إلى الوجه و مص الأصابع؛ والتي يمكن أن ترى عند الأسبوع السادس عشر؛أي قبل مائة وعشرين يوماً .

(١) سورة الزمر آية ٤٢ .

(٢) التبيان في أقسام القرآن – ابن القيم الجوزية ٢١٨/١ دار الفكر

وتعتبر هذه الحركات انعكاساً غير مباشر لحالة الجهاز العصبي المركزي؛ فكلما كانت هذه الحركات موجودة ومتوازنة، كلما كانت حالة الجهاز العصبي نشطة وسليمة.

وبناء على كل ما سبق يمكننا القول بأن الجزم بعدم نفخ الروح إلا بعد أربعة أشهر ، قول ليس عليه دليل قطعي من النصوص الشرعية، بل مبني على فهم حديث هو: رواية الإمام البخاري من حديث ابن مسعود ثم جاءت حقائق علم الأجنة الحديث معارضة لمفهوم هذه الرواية ومؤيدة لروايات أخرى لنفس الحديث ونفس الراوي رواها الإمام مسلم وأبو عاصم في السنة ، بينت القضية بوضوح لا لبس فيه .

وهذا يبطل الاحتجاج بفهم رواية البخاري في تحديد زمن أطوار الجنين الأولى.

وبالتالي يبطل الاحتجاج بالجزم بعدم نفخ الروح في الجنين قبل أربعة أشهر.

وعليه فإمكانية نفخ الروح في الأجنة قائمة في الأيام الأولى بعد الأربعين يوماً الأولى .

ولعدم وجود حديث واحد صحيح أو حسن، يصرح بأن الروح لا تنفخ في الجنين إلا بعد أربعة أشهر .

ومما يؤكد ذلك الحقائق العلمية الثابتة في علم الأجنة ومن أهمها رؤية مراحل الجنين المختلفة منذ بداية تكونه، واكتمال خلقه وتصويره وقيام معظم أجهزته بوظائفها ورصد حركته الذاتية وأنشطته البدنية قبل أربعة أشهر على وجه القطع.

التوصيات

إن من واجب الفقيه المسلم أن يقف أمام هذه القضية المعروضة موقفاً جاداً ليقرر عدة حقائق أهمها :

أن حياة الجنين في نظر الشريعة الإسلامية حياة محترمة، باعتباره كائنا حياً يجب المحافظة عليه، حتى إن الشريعة تجيز للحامل أن تفطر في رمضان، وقد توجب ذلك عليها، إذا خافت على حملها من الصيام ، عن نافع أن ابن عمر سئل عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها فقال: تفطر، وتطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من حنطة [١].

ومن هنا حرمت الشريعة الاعتداء عليه، ولو كان الاعتداء من من أحد أبويه

قال الإمام أحمد : وإذا شربت الحامل دواء ، فألقت به جنينا ، فعليها غرة، لا ترث منها شيئا ، وتعتق رقبة ليس في هذه الجملة اختلاف بين أهل العلم نعلمه إلا ما كان من قول من لم يوجب عتق الرقبة ، وذلك لأنها أسقطت الجنين بفعلها وجنايتها ، فلزمها ضمانه بالغرة ، كما لو جنى عليه غيرها ، ولا ترث من الغرة شيئا ؛ لأن القاتل لا يرث المقتول ، وتكون الغرة لسائر ورثته وعليها عتق رقبة ؛ كما قدمنا .

ولو كان الجاني المسقط للجنين أباه ، أو غيره من ورثته ، فعليه غرة ، لا يرث منها شيئا ، ويعتق رقبة ، وهذا قول الزهري ، والشافعي ، وغيرهما..[٢].

وفي حالة الحمل الحرام عن طريق الزنى لا يجوز لها أن تسقطه، لأنه كائن إنساني حي لا ذنب له ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [٣].

---

(١) فقه السنة – سيد سابق ١ / ٤٤٠

(٢) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني – أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الشهير بابن قدامة المقدسي المتوفى ٦٢٠هـ ١٩ / ١٥٤ والشرح الكبير لابن قدامه ٩ / ٥٥١

(٣) سورة الإسراء آية ١٥

وقد رأينا الشرع يوجب تأخير القصاص من المرأة الحامل المحكوم عليها بالقصاص ، ومثلها المحكوم عليها بالرجم حفاظًا على جنينها، كما في قصة الغامدية المروية في الصحيح ، لأن الشرع جعل لولى الأمر سبيلا عليها ولم يجعل له سبيلا على ما في بطنها.

كما رأينا الشريعة توجب دية كاملة على من ضرب بطن امرأة حامل، فألقت جنينا ميتاً ، أو نزل حيًا ثم مات من الضربة، نقل ابن المنذر إجماع أهل العلم على ذلك ، قال : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن في الجنين يسقط حيا من الضرب دية كاملة ، منهم : زيد بن ثابت ، وعروة ، والزهري والشعبي وقتادة ، وابن شبرمة ، ومالك ، والشافعي ، وإسحاق ، وأبو ثور وأصحاب الرأي وذلك لأنه مات من جنايته بعد ولادته في وقت يعيش لمثله ، فأشبه قتله بعد وضعه [1] **واستدلوا بقوله تعالى ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾**[2].

وأكثر من ذلك ما قاله ابن حزم في قَتل الجنين بعد نفخ الروح فيه [3] يعتبره جناية قتل عمد كاملة موجبة لكل آثارها من القصاص وغيره قال: فإن قال قائل فما تقولون فيمن تعمدت قتل جنينها وقد تجاوزت مائة ليلة وعشرين ليلة بيقين فقتلته، أو تعمد أجنبي قتله في بطنها فقتله، فمن قولنا: أن القود يعنى القصاص واجب في ذلك ولابد ، ولا غرة في ذلك حينئذ، إلا أن يعفى عنه، فتجب الغرة فقط لأنها دية، ولا كفارة في ذلك، لأنه عمد، وإنما وجب القود، لأنه قاتل نفس

(١) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني – ابن قدامة المقدسي ١٩ / ١٤٤

(٢) سورة النساء آية ٩٢

(٣) قال ابن حزم وأصدق الناس ، وأثبت العدول : شهد عندنا أن الروح ينفخ فيه بعد المائة وعشرين ليلة وبحثنا يخالف ذلك بالأدلة

مؤمنة عمدًا، فهو نفس بنفس ، وأهله بين خيرتين: إما القود ، وإما الدية ، أو المفاداة كما حكم رسول الله ﷺ فيمن قتل مؤمنا [١].

وابن حزم يعتبر الجنين إذا نفخت فيه الروح شخصًا عادياً من الناس ، حتى إنه يوجب إخراج زكاة الفطر عنه.

قال : زكاة الفطر من رمضان فرض واجب على كل مسلم، كبير أو صغير ذكر أو أنثى، حر أو عبد، وإن كان من ذكرنا جنينا في بطن أمه [٢].

وهذا كله يرينا إلى أي حد تهتم الشريعة بالجنين، وتؤكد حرمة العبث به وخصوصًا بعد المرحلة التي جاء الحديث بتسميتها مرحلة "نفخ الروح

ومن هنا أجمع فقهاء المسلمين على حرمة إجهاض الجنين بعد نفخ الروح فيه لم يخالف في ذلك أحد من السلف أو الخلف.

وبعد هذه التقدمة التي ربما أطلت فيها لكبير القضية ، أقول إن يجب الحفاظ على الجنين في بطن أمه خصوصاً بعد نفخ الروح ، ونفخ الروح يكون بعد أربعين يوماً ، وأن من اعتدى عليه بأي نوع من الاعتداءات فعليه ما يستحقه كما فصلنا في المسألة .

وأقول أيضاً بحرمة الإجهاض بعد الأربعين ؛ لأن الإجهاض محرم عند جمهور الفقهاء بعد نفخ الروح ، ونفخ الروح يكون بعد طور المضغة، وطور المضغة يبدأ ويكتمل وينتهي خلال الأربعين يوماً الأولى بيقين؛ فعليه يرجح القول بحرمة الإجهاض بعد الأربعين يوماً الأولى من بداية تلقيح البييضة

وأوصي المجامع الفقهية وأهل الفتوى أن يغيروا فتواهم المشهورة التي تبيح الإجهاض قبل اليوم العشرين بعد المائة ، وأن يأخذوا بعين الاعتبار أن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة ، وأن الله تعالى لا يعذر الإنسان بالجهل .

---

(١) المحلى – ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري المتوفى ٤٥٦هـ ٣١/١١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

(٢) المرجع السابق ١١٨/٦

فهرس أهم المراجع

١- كتاب الله جل شأنه
٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – أبو السعود العمادي (المتوفى : ٩٨٢هـ)
٣- أرشيف المجلس العلمي – من موقع الألوكةwww.majles.alukah.net
٤- أطوار الجنين ونفخ الروح د. عبد الجواد الصاوي موقع www nooran.org
٥- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤ هـ
٦- إنه الحق : هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي
٧- مجموعة من المحققين – دار الهداية
٨- التبيان في أقسام القرآن – ابن القيم الجوزية ٢١٨/١ دار الفكر
٩- التعريفات – علي بن محمد بن علي الجرجاني – تحقيق إبراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٥.
١٠- تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ –٧٧٤ هـ]المحقق : سامي بن محمد سلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م
١١- التناسل البشري – مبادئ الطب التناسلي – بيج وفيللي – الطبعة الثالثة
١٢- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : ٢٥٦هـ)
١٣- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم – أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت

١٤- الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد شمس الدين القرطبي المتوفى ٦٧١هـ تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م
١٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم – عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب المتوفى ٧٩٥ هـ تحقيق د . ماهر ياسين الفحل
١٦- حقائق الإسلام في مواجهة حملات المشككين – نخبة من علماء المجلس الأعلي لشئون الإسلامية بمصر جمع وإعداد – أحمد سيد إبراهيم
١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين الآلوسي – تحقيق على عبد البارى عطية ٩ / ٢١٦ دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٥ هـ
١٨- دروس للشيخ سعيد بن مسفر – سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
١٩- الديباج على صحيح مسلم للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩ – ٩١١ هـ تحقيق أبو اسحق الحويني ٦ / ٦ دار ابن عفان
٢٠- السنة – عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني المتوفى ٢٨٧ المحقق: محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ
٢١- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان – محمد بن حبان – مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤ – ١٩٩٣ تحقيق شعيب الأرنؤوط
٢٢- العباب الزاخر واللباب الفاخر – الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني المتوفّى ٦٥٠ هـ
٢٣- علم الأجنة في القرآن والسنة – المجلس الأعلى للمساجد – هيئة الإعجاز العلمي – مكة المكرمة
٢٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري- بدر الدين العيني الحنفي ملتقأهل الحديث ١٤٢٧ هـ

٢٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود - أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي المحقق : عبد الرحمن محمد عثمان - المكتبة السلفية المدينة المنورة - الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م
٢٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩
٢٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير - محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ
٢٨- فيض القدير شرح الجامع الصغير - زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي المتوفى : ١٠٣١هـ ٢ / ٥٢٤ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ
٢٩- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق القاهرة
٣٠- القدر وما ورد في ذلك من الآثار- عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي (١٢٥ - ١٩٧) المحقق د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم - دار السلطان - مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٤٠٦
٣١- القرآن منهاج حياة - غازي صبحي آق بيق
٣٢- كنوز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - عبد الدائم الكحيل
٣٣- المحلى - ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري المتوفى ٤٥٦هـ ٣١/١١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٣٤- مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة - تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة
٣٥- المحكم والمحيط الأعظم - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ٤٥٨هـ تحقيق عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت عام٢٠٠٠م

فهرس الموضوعات

تاريخ علم الأجنة ٧٤
تعريف الروح ٧٤
تعريف الحياة ٧٤
تعريف النفس ٧٥
تعريف علم الأجنة ٧٦
أطوار خلق الجنين في بطن أمه ٨١
طور النطفة ٨١
مراحل النطفة ٨٢
الماء الدافق ٨٤
النطفة الأمشاج ٨٥
الحرث ٨٨
طور العلقة ٨٩
طور المضغة ٩٣
طور العظام ٩٨
طور الكساء باللحم ٩٩
زمان نفخ الروح بين الدين والطب ١٠٣
رأي الطب والعلم في وقت نفخ الروح ١١٨
التوصيات ١٢٣
فهرس أهم المراجع ١٢٦
فهرس أهم الموضوعات ١٢٩